الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

محمد صلى الله عليه وسلم

الدكتور
شهاب الدين محمد أبو زهو
كلية أصول الدين بطنطا
جامعة الأزهر

تقديم
الأستاذ الدكتور
مروان محمد شاهين
أستاذ الحديث النبوي وعلومه
كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر





الدكتور

شهاب الدين محمد أبو زهو

مدرس الحديث النبوي وعلومه

كلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر

تقديم

الأستاذ الدكتور

مروان محمد شاهين

أستاذ الحديث النبوي وعلومه

كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

الطبعة الأولى: (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب المصرية: ٢٠١٠/٩٩٥٨م

الترقيم الدولي (I . S . P . N): ٥-٠٤٦-٠٤٥١-٩٧٧-٩٧٨

بطاقة الفهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

أبو زهو، شهاب الدين محمد.

الإعجاز الغيبي في السنة النبوية/ إعداد: شهاب الدين محمد أبو زهو.

الإسكندرية: دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠١٠م.

تدمك: ٥-٠٤٦-٠٤٥١-٩٧٧-٩٧٨.

١-الحديث.

أ- العنوان.



٢٧ شارع ٣١٤ تقسيم القضاة سموحة

الاسكندرية

www.dar-alhoda.com

ت: ٠٣٤٢٠٥١٢٩ / ٠١٠٣٤٥٦٨٥٢ فاكس: ٠٣٤٢٠٥١٢٩

تقديم

الأستاذ الدكتور
مروان محمد شاهين
أستاذ الحديث النبوي وعلومه
كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴾
[الأحزاب: ٧٠ - ٧١] أما بعد...

فإن الله تعالى لما أراد الهداية للبشر أرسل إليهم خير خلقه وصفوة رسله سيدنا محمدًا ﷺ ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن الله رب العالمين، ويهديهم إلى صراط الله المستقيم، وقد جاء هذا النبي الكريم ﷺ ومعه النور الذي يكشف الظلمات، ويزيل الضلالة، ويهدي من الضلال الذي كان يملأ العالم قبل مجيئه ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وهذا النور هو القرآن العظيم كما عبر بذلك القرآن الكريم نفسه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣].

ولم نكن نستطيع أن نفهم هذا القرآن الكريم لكي نُطَبِّقَهُ ونعمل به إلا في ضوء السنة المطهرة التي أوكل الله تعالى إليها مهمة بيان القرآن الكريم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ

لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]، فَشَرْعُ الله الحنيفُ ومنهاجه القويم إنما يُستمد من كتاب الله تعالى ومن سُنَّة رسوله ﷺ الذي يبين للناس ما نُزِّل إليهم.

ولا يقتصر دور السُّنة المطهرة على بيان القرآن الكريم فحسب ـ رغم خطورة تلك المهمة وأهميتها ـ وإنما هي تشرع أيضًا مع القرآن الكريم، والدليلُ المستمد من السنة المطهرة هو في قوة الدليل المستمد من القرآن الكريم، فالذي توجبه السُّنة المطهرة مثلُ الذي يوجبه القرآن الكريم تمامًا، وكذلك ما حَرَّمَتْهُ السُّنة المطهرة هو في نفس درجة التحريم لما حَرَّمه القرآن الكريم، وتلك حقائق ثابتة بالقرآن الكريم والسنة المطهرة لا ينبغي أن يمارِيَ فيها أي مسلم أبدًا.

فقد أوجب الله تعالى في عشرات من الآيات القرآنية طاعة رسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾ [النساء: ٥٩]، بل إن الله تعالى أقسم بذاته الشريفة أن إيمان المؤمنين لن يكون كاملًا إلا إذا حَكَّمُوا الرسولَ ﷺ في كل ما شَجَرَ بينهم، واشترط عليهم الرضا التام والتسليم الكامل لهذا الحكم النبوي الكريم، وذلك في قوله سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ

لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧].

وقال ﷺ: ((كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى)). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يَأْبَى؟! قَالَ: ((مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى))[1]، وقال ﷺ: ((إِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ))[2]، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدًّا...

والسنة المطهرة كان لها تأثيرها الواضح في جملة من الأمور، ومنها:

١ - كثير من التشريعات الإسلامية وأحكام الفقه تعتمد في المقام الأول على السُّنة المطهرة، فالسُّنة الشريفة بها ثروة من التشريعات الهائلة في سائر مناحي الحياة، من عقيدة وعبادة، وأخلاق ومعاملات، وأحكام الأسرة، وغير ذلك كثير كثير..

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنة رسول الله ﷺ، من حديث أبي هريرة ﷺ، (٦٨٥١).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري، كتاب الاعتصام، باب الاقتداء بسنة رسول ﷺ،(٦٨٥٨)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه أو لا يتعلق به تكليف وما لا يقع ونحو ذلك، (٦٢٥٩).

٢- السُّنة الكريمة هي التي حفظت الإسلام وكيانه، ومنعت ذوبانه في الحضارات الأخرى، ووقفت ضد تأثر المسلمين بالثقافات التي تناوئ شريعة الإسلام، فلا يوجد عندنا تمجيد للعُري، أو ثناء على الشذوذ، أو استحسان للربا، وغير ذلك من وجوه العار التي تمتلئ بها الثقافات الأخرى.

٣- السُّنة النبوية من الأسس القوية التي قامت عليها وحدة المسلمين، فمع تعدد أوطان المسلمين واختلاف ألسنتهم وألوانهم، إلا أنهم جميعًا يَتَّحِدُون في مأكلهم ومشربهم وملبسهم، وطُرِقِ جمع أموالهم من الحلال الطيب، ونظام الأسرة عندهم، وعلاقاتهم الاجتماعية، وبِرِّ الوالدين وصلة الرحم، كلُّ ذلك وغيره استمدوه من القرآن الكريم والسُّنة المطهرة التي وحَّدَتْ أمة الإسلام وألَّفَتْ بين قلوبهم.

ففي السُّنة: العقيدة، والعبادات، والتشريعات، والأخلاق.

وفيها أيضًا: المُعْجِزَاتُ الغَيْبِيَّةُ التي تؤكد صدق الرسول ﷺ في كل ما أَخْبَرَ به عن رب العزة جل في علاه.

وبين أيدينا كتاب صغير الحجم، لكنه كبير الفائدة؛ لأنه يتناول جانبًا هامًّا مما تناولته السُّنة الشريفة، وهو **الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية**،

فالرسول ﷺ قد أَخْبَرَ عن أمور غيبية كثيرة تتعلق بالماضي من أمور الأمم السابقة وغيرها، وغيبيات تتعلق بكثير من أحوال المستقبل سواء في الدنيا أو من أحوال يوم القيامة.

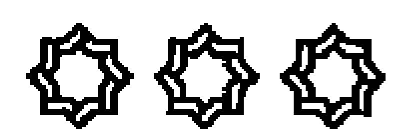
وقد تحدث المؤلف الكريم عن السُّنة: تعريفها، وأهميتها، ومنزلتها من التشريع، وعلاقتها بالقرآن الكريم، وإثبات أنها وَحْيٌ من عند الله تعالى، والأدلة على حُجِّيَّتِها، ثم انتقل بعد ذلك لضرب بعض الأمثلة على ذلك الإعجاز الغيبي الذي جاء في السُّنة المطهرة من أمور الماضي والمستقبل معًا.

وهو في ذلك قد اتبع المنهج العلمي في تخريج الأحاديث وبيان درجتها، مع الاستعانة بأفهام علماء الأمة الكبار من الذين شرحوا كتب السُّنة ومصادرها المعتمدة عند أمة الإسلام.

والمؤلف الكريم سَلِيلُ بَيْتِ عِلْمٍ، فَأَبُوهُ - رحمه الله تعالى - أحد علماء الأزهر الشريف، وعَمُّ أبيه فضيلة العلامة الكبير الأستاذ الدكتور/ محمد محمد أبو زهو، صاحب كتاب عظيم، صار عمدة للباحثين في كثير من علوم السُّنة المطهرة وهو "**الحديث والمُحَدِّثون**".

والدكتور شهاب أبو زهو واحد من الشباب النبهاء النابغين المُوَفَّقِين، الذين تمتلئ قلوبهم بحب الإسلام ونبي الإسلام ﷺ وسُنته الشريفة، وهو أحد الجنود الذين يدافعون عنها الآن بكل ما أتيح له من وسائل ضد هذه الهجمة الشرسة القبيحة التي تتعرض لها السُّنة الشريفة، نحسبه كذلك، والله حسيبنا وحسيبه، ولا نُزَكِّي على الله تعالى أحدًا.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل في موازين حسناته، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأن يمنحه - وكل الغيورين على السُّنة - مزيدًا من التأييد والتوفيق، وأن يكتب لهم القبول والعون والسداد، فهو ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه.



الأستاذ الدكتور
مروان محمد شاهين
أستاذ الحديث النبوي وعلومه
كلية أصول الدين بالقاهرة - جامعة الأزهر

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾

[الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فإن «الله تعالى أجرى على يد نبينا محمد ﷺ معجزات باهرات، وآيات مبصرات، إذا نظر فيها مريد الحق دَلَّتْه على أنها شهادة صادقة من الله تعالى لرسوله ﷺ، وأعظمها القرآن الكريم، هذا القرآن المعجز لكل جيل بما برع فيه.

شَهِدَ بإعجازه المشركون، وأيقن بصدقه المعاندون، واعترف بعظمته أهله وأعداؤه، ولا تزال أوجه إعجازه تَظْهَرُ، وصِدْقُهُ على مدى الزمان يتأكد، فحقائقه لا تزيد على طول الزمان إلا جدّة، والحكماء لا يزدادون مع طول الزمن إلا احترامه وتعظيمه.

وفي كل جيل يُظْهِرُ هذا القرآن العظيم وجهًا من أَوْجُهِ عظمته، وفي زماننا والذي يسمى عصر الاكتشافات العلمية، بَهَرَ القرآن أهل كلِّ تخصص في تخصصهم، إذ وَجَدَ كلٌّ دقةً متناهيةً في تناول القضايا، وسَبْقًا علميًا في الحديث عن الحقائق»[1].

وإن السُّنة النبوية حافلة كذلك بوجوه متعددة من الإعجاز، وكيف لا وهي والقرآن من معين واحد وهو الوحي الصادق.

(١) انظر: معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا (١/ ١٥) لأستاذنا الدكتور عبد المهدي عبد القادر.

فنحن «أمام رسول الله ﷺ الذي أُعطي حقائق في كل مجال، فكان إعجازه العلمي بحسب كل فرد من أفراد الإعجاز، وكان إعجازه الأعظم هذا الكم الهائل من نواحي الإعجاز، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب!!

إضافة إلى هذا: فإننا نجد أن إعجازه ثابت بالنسبة لكل عصر جاء بعده مع سعة ما فيه من العلوم والبحوث والدراسات، فتبقى كلمات رسول الله ﷺ علامات واضحة، ودلالات بينة على أنه رسولٌ حق من عند الله تعالى، عَلَّمَهُ ما لم يعلم، وأعطاه ما لم يُعْطِ غيره»[1].

وَتُطْلِعُنَا الآية رقم [١١٣] من سورة النساء ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ أن الخصيصة المميزة للسُّنة النبوية وسر جوانب إعجازها المكنون يرجع إلى أنها: أُنزلت بعلم الله، فهي مَظْهَرٌ من مظاهر عِلْمِ الله.

وإن من جوانب الإعجاز في السُّنة المطهرة: تلك العلوم والمعارف الواسعة الشاملة والحقائق والأسرار الدقيقة اللطيفة التي تنطوي عليها السُّنة النبوية، والتي تستحق كل واحدة منها أن تُعَدَّ معجزة برأسها، وكلما تطور علم الإنسان، وبلغ مراحل النضج والاكتمال،

(١) بتصرف يسير من: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ١٠-١١)، د/ صالح بن أحمد رضا.

وانكشف عنه حجب الجهل والغموض، تجلى له جمال السُّنة، وروعتها، وإحاطتها. مصداقًا لقول رَسُولِ الله ﷺ: **((إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ))**[1].

ولكن الذكاء البشري محدود النطاق، ضيِّق الأفق لا يسع ضخامة محتويات السُّنة المُشَرَّفة ورحابة آفاقها المترامية، ويكفيه أن يدرك منها قدر ما يملأ به وعاءه.﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ [الرعد: ١٧].

وإن هذه الوحدات المعجزة تحمل في طياتها جوانب عديدة من الإعجاز، جانب الحتمية والقطعية والأبدية في الحقائق النبوية، وهذه الحتمية والأبدية من خصائص العلم الإلهي، وليس الشك والتطور والاضطراب إلا من لوازم العلم البشري وخصائصه، ولما أن السُّنة النبوية محفوظة من لدن حكيم عليم، لذلك لا يتطرق إلى أبديتها وحتميتها شيء.

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة - باب الْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ (٦/ ١٨ رقم ٤٨٨٢).

وقد وفقني الله تعالى إلى الكتابة في بيان:

الإعجاز الغيبي في السنة النبوية

فالنبوءات التي تضمنتها السنة النبوية تُشَكِّل إحدى نواحي الإعجاز النبوي البارزة؛ حيث إن النبي ﷺ في الإخبار عن المغيبات، يأتي بها لا يعرفه أحد من البشر، ولا يمكن أن يدركه بنفسه العقلُ البشري.

قال القرطبي[١]: «الفصل الحادي عشر، في ما أخبر به مما أطلعه الله من الغيب ﷺ: هذا الموضوع بحر لا يُدْرَكُ قَعْرُه، ولا ينزف غمره، وهو من جملة آياته المعلومة على القطع، الواصلة إلينا من طريق التواتر؛ لكثرة الحكايات وانتشار الروايات، مع اتفاقها على أنه مطلِّع على كثير من الغيب، فهذا تواتر معنوي يحصل به العلم القطعي.

والأخبار المتلقاة عنه ﷺ في هذا الموضوع قسمان: قسم وقع ووُجد كما أخبر به؛ وقسم آخر لم يقع لكونه لم يبلغ وقته، وسيقع ولا بد، ولذلك هو منتظر الوقوع.

ونحن إنما نذكر في هذا الفصل ما وقع ووجد حسب ما أخبر به إذ به تقع الحجة وعنده يظهر الإعجاز».

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لمحمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. الناشر: دار التراث العربي - القاهرة، ١٣٩٨.

إن ما ذُكر في السُّنة النبوية من الغيوب بأنواعها من قصص الأنبياء السابقين وقصص الأمم والشعوب التي أُرسِلوا إليها، وما يقع في المستقبل من أحداث يعد معجزة بمفردها، وناحية الإعجاز فيها أنه لم يكن هناك من وسائل الاطلاع والمعرفة بها، ولقد كان الرسول ﷺ أميًّا، ولم يكن لهذه المعلومات والروايات التاريخية مصدر ولا مرجع للرسول ﷺ إلا فيض العلم الإلهي، والوحي الرباني.



خطة البحث

ويتكون الموضوع من عدة مباحث:

المبحث الأول: حقائق أساسية عن السُّنة النبوية، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف السُّنة النبوية.

المطلب الثاني: مكانة السُّنة النبوية في الإسلام ويشتمل على:

١ـ السُّنة وحي من الله تعالى.

٢ـ السُّنة محفوظة بحفظ الله تعالى.

المطلب الثالث: السُّنة النبوية عطاء متجدد في سائر المجالات، وفيه بيان سر التجدد.

المبحث الثاني: مقدمة في الإعجاز، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى الإعجاز لغة واصطلاحًا، ووجهه، والغاية منه.

المطلب الثاني: الألفاظ والمصطلحات ذات العلاقة بالإعجاز.

المطلب الثالث: مجالات الإعجاز.

المطلب الرابع: أهمية الحديث عن الإعجاز في القرآن والسُّنة وأثره تبليغًا وتثبيتًا.

المبحث الثالث: الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية، ويشتمل على المطالب التالية:

المطلب الأول: معنى الغَيْب.

المطلب الثاني: أنواع الغَيْب.

المطلب الثالث: قواعد عامة في الغَيْب.

المطلب الرابع: شُبهة والجواب عليها.

المطلب الخامس: نماذج من النُّبُوءات الغَيْبِيْةِ في السُّنة النبوية، ويشتمل على:

١ـ الإعجاز الغَيْبي فيما يتعلق بالماضي.

٢ـ الإعجاز الغَيْبي فيما يتعلق بحاضر النبي ﷺ.

٣ـ الإعجاز الغَيْبي فيما يتعلق بالمستقبل.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

هذا، وما كان من توفيق فمن الله تعالى وحده ﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[هود: ٨٨]، وما كان من خطأ أو تقصير فمن نفسي ومن الشيطان، وأسأل الله العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

۞۞۞

كتبه

أبو محمد الأزهري

د/ شهاب الدين بن محمد أبو زهو

قسم الحديث النبوي وعلومه

كلية أصول الدين بطنطا

جامعة الأزهر

المبحث الأول

حقائق أساسية عن السُّنة النبوية

المبحث الأول

حقائق أساسية عن السُّنة النبوية

المطلب الأول

التعريف بالسُّنة النبوية

أولًا: السنة في اللغة:

إن الناظر في المعاجم اللُّغوية(١) يجد أن السُّنة قد أُطْلِقَتْ على معان متعددة، ونقتصر في هذا المقام على ثلاثة من أشهرها، وهي:

أ. الطَّريقةُ، ومن ذلك قول النبي ﷺ: ((مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))(٢). وَالْمُرَاد: «مَنْ تَرَكَ طَرِيقَتِي وَأَخَذَ بِطَرِيقَةِ غَيْرِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

ب ـ السِّيرَةُ، حَمِيدة كانت أو غير حَمِيدة، ومن ذلك قول الرسول ﷺ: ((مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي

(١) انظر: لسان العرب - (١٣ / ٢٢٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب النكاح- باب الترغيب في النِّكَاحِ (٥/ ١٩٤٩ رقم ٤٧٧٩)، ومسلم في صحيحه: كتاب النكاح - باب اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ وَوَجَدَ مُؤْنَةً... (٤/ رقم١٢٩) من حديث أنس ﷺ.

(٣) فتح الباري (٩/ ١٠٥).

الإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ))[1].

وسُنَّة الله ـ تعالى ـ في خَلْقِه: حُكْمُهُ ـ سبحانه ـ في خلقه، وما عَوَّدَهُم عليه، وذلك كقولهم: سُنَّة الله في خَلْقِه أن يُمْهِل العاصي لعلّه يتوب ويرجع.

ت ـ البَيَانُ: يقال: سَنَّ (الأَمْرَ) سَنًّا: إذا (بَيَّنَهُ)، وسَنَّ اللهُ أحكامه للناس: بَيَّنَهَا، وسَنَّ اللهُ سُنَّة: بَيَّنَ طريقًا قويمًا، وفي الحديث: ((إِنِّي لَأَنْسَى أَوْ أُنَسَّى لِأَسُنَّ))[2] أَي إنما أُدْفَعُ إلى النِّسْيانُ لأَسُوقَ الناسَ بالهداية إلى الطريق المستقيم وأُبَيِّنَ لهم ما يحتاجون أَن يفعلوا إذا عَرَضَ لهم النسيانُ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب العلم –باب مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً أَوْ سَيِّئَةً وَمَنْ دَعَا إِلَى هُدًى أَوْ ضَلَالَة (٨/ ٦١ رقم٦٩٧٥). من حديث جَرير بْن عَبْد الله ﷺ.

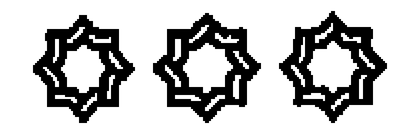
(٢) أخرجه مالك بلاغًا في «الموطأ» كتاب السهو – باب العمل في السهو (٢/ ١٣٨ رقم٣٣١)، وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (٢٤/ ٣٧٥): لا أعلم هذا الحديث روي عن رسول الله ﷺ مسندًا ولا مقطوعًا من غير هذا الوجه، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي لا توجد في غير «الموطأ» مسندة ولا مرسلة، ومعناه صحيح في الأصول. انتهى. قال الزرقاني في «شرح الموطأ» (١/ ٢٠٥): وما وقع في «فتح الباري» أنه لا أصل له، فمعناه: يحتج به؛ لأن البلاغ من أقسام الضعيف، وليس معناه أنه موضوع، إذ ليس البلاغ بموضوع عند أهل الفن لا سيما من مالك.

ثانيًا: السنة في الاصطلاح:

يختلف معنى السُّنة في الاصطلاح حسب تخصص أهل كل عِلْم وما يهدفون إليه من دراسته؛ فهناك المُحَدِّثون، وهناك الأصوليون، وهناك الفقهاء.

وأقتصر في هذا المقام على تعريف علماء الحديث، فإنهم يبحثون في السُّنة عن رسول الله ﷺ الإمام الهادي، النبي الرسول، الذي أخبرنا ربنا ﷻ أنه أسوتنا وقدوتنا، ومِنْ ثَمَّ فقد نقلوا كل ما يتصل به ﷺ من أقوال، وأفعال، وتقريرات، سواء أَثْبَتَ ذلك حُكْمًا شرعيًا أم لم يُثْبِتْ، كما نقلوا عنه ﷺ أخباره، وشمائله، وقصصه، وصفاته خَلْقًا وخُلُقًا.

ومن هنا فقد عرَّفوا السُّنة بأنها: «**ما أُثِر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقية، أو خُلُقية، أو سِيرَةٍ، حتى الحركات، والسكنات، في اليقظة، والمنام، سواء كان قبل البعثة، أو بعدها**»[1].



---

(١) انظر: الحديث والمحدثون: ص١٠ للعلامة الدكتور/ محمد محمد أبو زهو. تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير: ص١٩ لشيخنا الجليل أد/ مروان شاهين، شبهات القرآنيين حول السنة النبوية: ص٧-٨ أد/ محمود مزروعة.

المطلب الثاني
منزلة السُّنة النبوية ومكانتها

إن الله تعالى قد مَنَّ على عباده بإرسال سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وإنزال القرآن الكريم عليه، وإيتائه السنّة التي هي صِنْوُ القرآن الكريم من حيث حجيتها ومنزلتها في التشريع: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالكتاب: هو القرآن العظيم، والحكمة: هي السُّنَّة النبوية الثابتة عن رسول الله ﷺ.

والسُّنَّة النبوية قَسِيمة القرآن تندرج معه في الوحي الإلهي، وهي تبينه وتوضحه، والأخذ بها سبب للاهتداء كما يدل لهذا قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

فمن كان نصيبه من طاعة النبي عليه الصلاة والسلام والأخذِ بسنَّته والاستمساكِ بها أكملَ ـ كان حظه من الاهتداء أتَمَّ، وعكسه بعكسه، فإن الإنسان يفوته من الاهتداء بقدر ما فاته من السنَّة علماً وعملاً.

«وهذه حقيقة لا يعارضها أو يشغب عليها إلا شقي مُعَادٍ لله ولرسوله وللمؤمنين، مخالف لما أجمعت عليه الأمة سلفًا وخلفًا وحتى قيام الساعة ـ بحول الله تعالى ـ.

ذلكم أن المقرر لدى الأمة المسلمة أن السنة النبوية المطهرة وَحْيٌ مِنْ قِبَلِ الله ـ تعالى ـ على رسوله ﷺ، وأن النبي ﷺ لا ينطق عن الهوى، وإجماعُ الأمة المسلمة على ذلك ليس صادرًا عن فراغ أو عن هوى، ولكنه الحق الذي لا يعارضه إلا غويٌّ مبين»[1].

قال الشوكاني[2]: «إن ثبوت حجية السُّنة واستقلالها بتقرير الأحكام الشرعية ضرورةٌ دينية لا ينكرها إلا من لا حظَّ له في دين الإسلام!».

فقد قرر الشوكاني ـ رحمه الله ـ ثبوت حجية السُّنة، وأن السُّنة تؤخذ منها الأحكام كما تؤخذ من القرآن، ضرورةٌ دينية لا يمكن أن ينكرها أحد إلا من لا حظَّ له في الإسلام.

«والمتأمل في سُنَّة الرسول ﷺ يجد أنها تهدف إلى صياغة المجتمع صياغة إسلامية نظيفة خالية من الشوائب والمكدِّرات، فيها المعنى

---

(١) بتصرف من شبهات القرآنيين حول السنة النبوية (ص ٨٨).
(٢) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (١ / ٦٩).

الحقيقي للحياة النقية، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤]»(١).

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «كُنَّا ضُلَّالًا فَهَدَانَا الله بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَبِهِ نَقْتَدِي»(٢).

يقول الأستاذ محمد أسد (ليوبولد فايس، المفكر النمساوي الذي أسلم)(٣): «لقد كانت السُّنة مفتاحًا لفهم النهضة الإسلامية منذ أكثر من ثلاثة عشر قرنًا، فلماذا لا تكون مفتاحًا لفهم انحلالنا الحاضر؟!

إن العمل بسُنَّة رسول الله ﷺ هو عمل على حفظ كيان الإسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السُّنة هو انحلال الإسلام.

لقد كانت السُّنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الإسلام، وإنك إذا أزلت هيكل بناءٍ ما، أفيدهشك أن يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق؟!».

(١) من بحث بعنوان/ اتّخاذ السّنّة النّبويّة إلى جانب القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية، (ص: ٢٠) مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، إعداد: د/ عبد الرحيم بن محمد المغذوي.

(٢) أخرجه أحمد (٩/ ٥٠٩ رقم ٥٦٩٨ و١٠/ ٤٣ رقم ٥٧٥٧)، وأبو يعلى (٩/ ٤٠٩ رقم٥٥٥٧) بسند حسن كما قال محققا الكتابين. فمدار أسانيدهما على مطر - وهو ابن طهمان الوراق - روى له مسلم متابعة وأصحاب السنن، وهو حسن الحديث، فقد قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٥٣): «غَيْرُه أَتقَنُ لِلرِّوَايَةِ مِنْهُ، وَلاَ يَنحَطُّ حَدِيثُه عَنْ رُتبَةِ الحَسَنِ». وباقي رجاله ثقات.

(٣) الإسلام على مفترق الطرق (ص: ٨٧) تأليف: محمد أسد.

وبحق قال المستشرق المجري اليهودي المحقق مرجليوث: «ليفتخر المسلمون ما شاءوا بعلم حديثهم»[١].

ولما كان البحث الذي نحن بصدده عن الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية، لزم أن نتحدث عن حقيقتين هما في غاية الأهمية، وعليهما يرتكز إثبات الإعجاز المشار إليه آنفًا، حيث إن الإعجاز لا يكون إلا بما أُنْزِل من عند الله ﷻ تأييدًا لرسوله ﷺ، وهذا المُنْزَلُ يكون له صفة البقاء محفوظًا من التبديل والتغيير، حتى يظل الإعجاز قائمًا ما قامت السماوات والأرض، وهاتان الحقيقتان ـ على وجه الإيجاز ـ هما:

١ ـ السُّنة وحي من الله تعالى:

يجب أن يعتقد المسلم أن قول النبي ﷺ وفعله وتقريره وَحْيٌ من الله تعالى، فالسُّنة قسيمة للقرآن بالوحي، فكل ما ورد عن النبي ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ فالأصل فيه أنه وحي من ربه بواسطة جبريل، وإن لم يُسنِده عنه في كل حال.

روى الخطيب في «الكفاية»[٢]: «عن أحمد بن زيد بن هارون قال: إنما هو صالح عن صالح، وصالح عن تابع، وتابع عن صاحب، وصاحب عن رسول الله ﷺ ورسول الله عن جبرائيل، وجبرائيل عن الله ﷻ».

---

(١) المفصل في أصول التخريج ودراسة الأسانيد (١ / ١٢٠)، جمعُ وإعدادُ: عليّ بن نايف الشَّحُودَ.
(٢) ص: ٢٠.

· والأدلة على أن السنة وحي من الله ـ تعالى ـ على نبيه ﷺ كثيرة وعديدة لكن لا بأس من الإشارة إلى أهمها هنا:

أولًا: شهادة القرآن الكريم بأن السُّنة وحي:

من ذلك قوله ﷻ عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

قال الإمام ابن كثير[1]: «أي: ما يقول قولًا عن هوى وغرض، ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ أي: إنما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملًا موفَّرًا من غير زيادة ولا نقصان، كما رواه الإمام أحمد[2] عَنْ أَبِي أُمَامَةَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٣).

(٢) صحيح أو جَيِّد: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦/ ٥٤٧ رقم ٢٢٢١٥) قال: حَدَّثَنَا يَزِيدُ. و(٣٦/ ٥٤٩ رقم ٢٢٢١٦) قال: حدثنا عصام بن خالد. و(٣٦/ ٥٨٨ رقم ٢٢٢٥٠) قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْرِ. و(٣٦/ ٦٣٣ رقم ٢٢٢٩٧) قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ. (أربعتهم: يَزِيدُ هو ابن هارون، وعصام بن خالد، وأَبُو النَّضْرِ هو هاشم بن القاسم، وأَبُو الْمُغِيرَةِ هو عبد القدوس بن الحجاج) قالوا: حَدَّثَنَا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَيْسَرَةَ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ... الحديث.

وأخرجه المحاملي في «أماليه» (ص ٤٢٢ رقم ٤٩٦) من طريق بقية، قال: أخبرني حريز بن عثمان، حدثني عبد الرحمن قال سمعت أبا أمامة... الحديث. وبقية ثقة يدلس ويسوي، وقد صرح بالتحديث إلى آخر السند. وبقية الإسناد رجاله ثقات.

وأخرجه ابن مخلد البزار كما في «مجموع فيه عشرة أجزاء حديثية» (الجزء الرابع: حديث ابن مخلد البزار عن شيوخه) (ص ٢٤٣رقم ٣٢٢/ ٦٥) قال: حدثنا عثمان ـ هو ابن أحمد بن السماك ـ قال: حدثنا يحيى بن أبي طالب، أخبرنا شَبَابَةُ بن سَوَّار قال: حدثنا حريز بن عثمان، عن عبد الرحمن بن ميسرة وحَبيب بن عبيد الرَّحَبي، عن أبي أمامة... الحديث. قلت: ورجاله جميعهم ثقات.

وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٥/ ١٨٢رقم ١٦٨٦) من طريق يزيد، وأبي المغيرة، قالا: نا حَرِيزُ بْنُ عُثْمَانَ، قال: نا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مَيْسَرَةَ، قال: سمعت أبا أمامة... الحديث.

=

= وأخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩/ ١٢٢) من طريق ابن مخلد السابق. [وقد تحرف فيه: عبد الرحمن، إلى عبد الله!).
وقال المنذري في «الترغيب» (٤/ ٢٤١ رقم٥٥١٣): إسناده جيد.
وقال الحافظ البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ٧٤ رقم ٧٧٧٧): رَوَاهُ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، بِسَنَدٍ وَاحِدٍ، وَرُوَاتُهُ ثِقَاتٌ.
وحسَّنه السيوطيّ في «الحاوي» (٢/ ١٦)، وتبعه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٢١٠ رقم٢١٧٨).
لكن قال الأرنؤوط في تحقيقه على «المسند»: (صحيح بطرقه وشواهده دون قوله: «فقال رجل: يا رسول الله... إلخ»، فهي زيادة شاذة لم ترد إلا في حديث أبي أمامة، ورواتها ليسوا بأولئك الأثبات، وعبد الرحمن بن مَيْسرة - وهو أبو سلمة الحمصي - وثقه العجلي، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال ابن المديني وحده: مجهول، لم يرو عنه غير حريز بن عثمان، وقوله هذا مردود برواية اثنين عنه غير حريز، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح، يزيد: هو ابن هارون السُّلمي).
وقد أخرج الحديثَ من غير الفقرة الأخيرة: الطبرانيُّ في «الكبير» (٨/ ١٤٣ رقم ٧٦٣٨) من طريق علي بن عياش الحمصي وأبي المغيرة. وأخرجه الآجري في «الشريعة» (٣/ ١٢٤٧ رقم ٨١٧) من طريق شبابة بن سوار، ثلاثتهم عن حريز بن عثمان، بهذا الإسناد. وإسناد الطبراني الأول والآجري: صحيح رجاله ثقات. وأما إسناد الطبراني الثاني فصحيح لغيره؛ فيه شيخا الطبراني: أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة، وهو صدوق، وأحمد بن عبد الرحيم بن يزيد الحَوْطِيّ وهو إمام محدث، وقد قرنهما الطبراني معًا.
على أن الحديث له طرق أخرى عن أبي أمامة ليس فيها الفقرة الأخيرة، لكنها طرق ضعيفة، لا يُعَلّ بمثلها الطرق السالمة القوية، ومن ذلك ما أخرج الطبراني (٧٩١٩) عن محمد بن جابان الجُنْدَيْسابُوري، عن محمود بن غيلان، عن يزيد بن هارون، عن الوليد بن جميل، عن القاسم بن عبد الرحمن، عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «من المؤمنين من يدخل بشفاعته الجنةَ مثل ربيعةَ ومُضَرَ». وفيه محمد بن جابان الجُنْدَيْسابوري شيخ الطبراني لم أجد له ترجمةَ. والوليد بن جميل قال عنه الحافظ في «التقريب»: (صدوق يخطئ)، وقال أبو حاتم في «الجرح والتعديل: ٩/ ٣»: (يروي عن القاسم - هو ابن عبد الرحمن الدمشقي - أحاديث منكرة). وروايته في الإسناد الذي معنا عن القاسم. وقد ذكره ابن عدي في «الكامل» وأورد له عدة أحاديث منها هذا الذي معنا.
وأخرجه الطبراني (٨/ ٢٧٥ رقم ٨٠٥٨) من طريق مبارك بن فضالة، عن أبي غالب البصري، عن أبي أمامة مرفوعًا: «يخرجُ من النار بشفاعة رجل من أمَّتي أكثرُ من ربيعة ومُضَرَ». وفيه أبو غالب البصري، مختلف فيه، وهو ممن يعتبر به في المتابعات والشواهد، ومبارك بن فضالة صدوق يدلس ويسوي، وقد عنعنه. =

أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((يَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الحَيَّيْنِ، أَوْ مِثْلُ أَحَدِ الحَيَّيْنِ: رَبِيعَةَ وَمُضَرَ))، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، وَمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَرَ؟ فَقَالَ: ((إِنَّمَا أَقُولُ مَا أُقَوَّلُ))»[١].

وقال القرطبي[٢]: «أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله ﷻ، لأن بعده: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾».

وقال الشوكاني[٣]: «﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ أي: ما يصدر نطقه عن الهوى لا بالقرآن ولا بغيره. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ أي: ما هو الذي ينطق به إلاّ وحي من الله يوحيه إليه».

ومن الأدلة: قوله سبحانه آمرًا نبيَّه ﷺ أن يقول: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾[الأنعام: ٥٠].

= وأخرجه الطبراني (٨٠٥٩) من طريق الحسين بن واقد، عن أبي غالب البصري، عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنةَ بشفاعة رجل من أمتي أكثرُ من عدد مُضَر، ويَشفَعُ الرَّجلُ في أهل بيته، ويَشفَعُ على قَدْر عمله». ورجال إسناده ثقات غير أبي غالب، فهو ضعيف يعتبر به كما سلف.

(١) أُقَوَّلُ: قال المناوي في (فيض القدير: ٥/ ٤٤٩): «بضم الهمزة وفتح القاف وواو مشددة، أي لُقِّنْتُهُ وَعُلِّمْتُهُ، أو أُلْقِيَ عَلَى لِسَانِي مِنَ الإلْهَام، أو هو وَحْيٌ حقيقة». يقصد بالوحي المباشر لفظًا ومعنىً، أو بالوحي غير المباشر معنىً واللفظ من عنده ﷺ والله أعلم.

(٢) تفسير القرطبي (١٧ / ٨٥).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ١٣٩).

قال القرطبي[١]: «ظاهره أنه لا يقطع أمرًا إلا إذا كان فيه وحي».

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ))[٢].

(١) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ٤٣٠).

(٢) صحيح: من حديث الْمِقْدَام بْن مَعْدِي كَرِبَ ﵁؛ أخرجه أبو داود في السُّنة - باب في لُزُوم السُّنَّة (٤/ ٣٢٨ رقم ٤٦٠٤) قال رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ نَجْدَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَمْرِو بْنُ كَثِيرِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ حَرِيزِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ، عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ! أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ». ورجاله كلهم ثقات سمع بعضهم من بعض، وتوفرت فيه شروط الصحة كلها. وأبو عمرو هو: عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار القرشي مولاهم، أبو عمرو الحمصي.

وأخرجه الترمذي في كتاب العلم - باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٥/ ٣٧ رقم ٢٦٦٤، ط دار الكتب العلمية بتحقيق الشيخ أحمد شاكر) بلفظ: «أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَى أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ! وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا حَرَّمَ اللهُ»، من طريق الحسن بن جابر، عن المقدام. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

قلت: وإسناد الترمذي هنا (حسن لغيره)؛ فيه: الحسن بن جابر اللخمي الكندي، وهو «مقبول» كما في «التقريب» (ص: ١٥٩)، لكنه تابعه عبد الرحمن بن أبي عوف (وهو ثقة) عند الترمذي في الإسناد السابق.

وأخرجه ابن ماجه في «سننه» مختصرًا، في المقدمة في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم - باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١/ ٦ رقم ١٢، ط دار الفكر ببيروت، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، بلفظ: «يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي، فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ ﷻ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ اسْتَحْرَمْنَاهُ! أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ»، من طريق الحسن بن جابر عن المقدام.

وأخرجه أحمد في «المسند» (٢٨/ ٤١٠ رقم ١٧١٧٤) عن يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ، عَنْ حَرِيزٍ بِهِ، ولفظه: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ=

ففي هذا الحديث قَرَنَ النبي ﷺ بين القرآن والسُّنة في مصدرهما وهو إيتاء الله ﷻ إياهما، كما وضحه قول الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ﴾[النساء: ١١٣].

والحكمة هي السُّنة، كما قال الشافعي رحمه الله: «سمعت غير واحدٍ ممن أَرْضَى من العلماء يقول: الحكمة هي سنة النبي ﷺ»[١].

وقال ابن كثير: «وما أنزل عليه من الكتاب وهو القرآن، والحكمة وهي السنة»[٢].

= يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَته يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآن، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيه مِنْ حَلَال فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيه مِنْ حَرَام فَحَرِّمُوهُ! أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الأَهْلِي، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَد إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْم فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ»، وقال محقق المسند شعيبٌ الأرنؤوط: (إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أبي عوف الجُرَشي فمن رجال أبي داود والنسائي وهو ثقة). اهـ

قلت: وهو كما قال وبالله التوفيق.

ومن حديث أبي رافع ﷺ: أخرجه الترمذي مختصرًا في كتاب العلم - باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ (٥/ ٣٧ رقم ٢٦٦٣)، بلفظ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُم مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيَهُ أَمْرٌ مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي! مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ!»، من طريق عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي رافع، وَقَالَ: هَذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه في «سننه» مختصرًا، في المقدمة في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم - باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه (١/ ٦ رقم ١٣)، ط دار الفكر ببيروت، بترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) بلفظ الترمذي الثاني المذكور سابقًا، من طريق عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه. وإسناده صحيح؛ رجاله ثقات، سمع بعضهم من بعض، وتوفرت فيه شروط الصحة كلها.

(١) الرسالة: ٧٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٠).

ثانيًا: إيجاب الله تعالى طاعته ﷺ وجَعْلُ طاعته من طاعة الله ﷻ:

قال ﷻ: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾.

[الحشر: ٧]

وقال: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾.

[آل عمران: ٣٢]

وقال: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]. وغير ذلك من الآيات الكريمات.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى[١]: «يخبر تعالى عن عبده ورسوله محمد ﷺ بأنه من أطاعه فقد أطاع الله، ومن عصاه فقد عصى الله، وما ذاك إلا لأنه ما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى».

كما قال النبي ﷺ فيما رواه البخاري[٢] ومسلم[٣] من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى الله)).

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٣).

(٢) البخاري في كتاب الأحكام - باب قول الله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ (٦/ ٢٦٠٩ رقم ٦٧١٨).

(٣) مسلم في كتاب الإمارة - باب وُجُوبِ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ (٦/ ١٣ رقم ٤٨٥٤).

فقد أمر الله تعالى بتصديق النبي ﷺ وطاعته مطلقًا في الأمور كلِّها الخبر منها والعمل، وذلك يستلزم أن تكون السُّنة معصومة، ولا يكون ذلك إلا بالوحي، وإلا لَمَا أمر المؤمنين بطاعته ﷺ طاعة مطلقة.

وقال ابن كثير أيضًا[1] عند تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]: «أي: استَعْلِمْ عنه من هو خبير به: عالم به؛ فاتبعه واقتد به، وقد عُلِم أنه لا أحد أعلم بالله ولا أخبر به من عبده ورسوله محمد ـ صلوات الله وسلامه على سيد ولد آدم على الإطلاق، في الدنيا والآخرة ـ الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى ـ فما قاله فهو حق، وما أخبر به فهو صِدْقٌ، وهو الإمام المُحَكَّم الذي إذا تنازع الناس في شيء، وجب ردُّ نزاعهم إليه، فما يوافق أقواله وأفعاله فهو الحق، وما يخالفها فهو مردود على قائله وفاعله، كائنًا من كان، قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]».

ثالثًا: إجماع الأمة كلها على أن السُّنة وحي من قِبَل الله ﷻ إلى رسوله ﷺ:

وبخاصة صحابة رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين، حيث كانوا في حياته الشريفة يحفظون أقواله ﷺ ويتذاكرونها فيما بينهم،

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١١٩).

وكانوا يتحرون الاقتداء به ﷺ في كل ما يأتي وما يذر فيما ليس بخصوصية له ﷺ، مستجيبين لتوجيه الله ـ تعالى ـ في قوله لأمة الإسلام: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

«وقد كان الذي يعرف الكتابة منهم يكتب لنفسه خاصة، وقد كان ثمة عدد من أصحاب رسول الله ﷺ يكتبون لأنفسهم في حياته الشريفة، ثم بعد حياته ﷺ كانت المسألة تَعْرِضُ للصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ فيبحثون في القرآن، فإذا لم يجدوا حكمها، بحثوا في السنة الشريفة وحكموا فيها بما وردت به السنة، وكان سائلهم يسأل أصحابه وإخوانه قائلًا: أنشدكم الله هل سمع أحدكم من رسول الله ﷺ شيئًا في المسألة؟ فإذا جاءهم حُكْمُ رسول الله ﷺ على لسان أصحابه أو بعضهم سارعوا إلى تطبيقه والأخذ به»[(١)].

(مِنْ كل هذا الذي ذكرنا ـ من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ـ تتضح مكانة السُّنة النبوية من التشريع الإسلامي، وتتضح حجيتها، وأنها من حيث الحجية هي في منزلة القرآن المجيد، **ولا ينبغي أن يفهم من هذا أننا نجعل السُّنة بمنزلة القرآن في المكانة والشرف**، فهذا مما لا يقول به مسلم، فلا ريب أن القرآن يفضل السُّنة بأمور اتفقت عليها الأمة.

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية ص ٨٨-٩٣.

وأما في مجال الاحتجاج بالسُّنة في أمور الدين وقضايا التشريع، فلا ريب أنها في هذا في منزلة مع القرآن، فكما يقال: الصلاة واجبة بقول الله ﷻ: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النور: ٥٦]، فكذلك يقال: صلاة الصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، والدليل فِعْلُ رسول الله ﷺ، والمثال هنا يوضح أن كِلا الدليلين على مستوىً واحد في إفادة العلم وإيجاب العمل)[1].

كما أنه تتضح لنا الأمور الآتية:

(أولًا: أن الوحي من عند الله ـ تعالى ـ إلى رسوله ﷺ وحيان؛ وحي هو القرآن المجيد، ووحي هو السُّنة النبوية الشريفة.

ثانيًا: أن السُّنة النبوية المطهرة تأتي في المنزلة الثانية بعد القرآن العظيم في مصدرية التشريع، فهي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم.

أما من حيث الحجية فهي مع القرآن بمنزلة واحدة؛ بمعنى أن دليل التشريع من السُّنة يعدل دليل التشريع من القرآن، فكلاهما مفيد للعلم، موجب للعمل بمقتضاه، على أي نوع من الأحكام الخمسة كان العمل.

---

(١) شبهات القرآنيين حول السنة النبوية ص ٢٩-٣٠ بتصرف.

ثالثًا: أن من رفض سُنة رسول الله ﷺ أو شغب عليها، أو رفض أمر رسول الله ﷺ أو نهيه، أو رفض الاحتكام إلى رسول الله ﷺ فيما يعرض له أو لم يقبل حكمه، كل من يفعل ذلك أو شيئًا منه يُعَدُّ فاسقًا عن الملة غير مؤمن، فإن الله - تعالى - قد جعل كل ذلك علامة الإيمان، ورفض ذلك أو شيء منه، آية الكفر والنفاق، وذلك في آياته البينات)[1].

ومِنْ تمام نُصْح النبي ﷺ لأمته، وحرصه عليهم ومحبته الخير لهم؛ أوصاهم بسنّته، وحَثَّهم عليها، وأَمَرَهم بالأخذ بها، كما في قوله ﷺ لأصحابه ﷺ: ((أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ))[2].

(١) المصدر السابق ص ٣٢-٣٣.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة - باب في لزوم السنة (٤/ ٣٢٩رقم ٤٦٠٩)، والترمذي في كتاب العلم - باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدعة (٥/ ٤٤رقم ٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

٢ـ السنة محفوظة بحفظ الله تعالى:

قد اختص الله ﷻ هذه الأمة بخصائص متنوعة، وفَضَّلَها بالامتياز بها على سائر الأمم في جميع العصور السابقة واللاحقة، وكان من تلك الخصائص: «خصوصية حفظ الحديث النبوي»، وذلك التراث الثري والحيوي الضخم الذي اختص الله هذه الأمة بأن حَفِظَتْهُ غضًّا طريًّا مدى العصور والأزمان، وعلى مر القرون والأجيال، وها نحن أولاء وقد دخلنا في القرن الخامس عشر من الهجرة نقرأ حديث نبينا ﷺ ونسمعه، ويُخطَب به، ويذاع على العالم جديدًا صحيحًا، كما قاله ونطق به، وكأنه صدر عنه الساعة ﷺ»[١].

«ولَمَّا كان الرسول ﷺ أمينًا على الوحي، ولا ينطق عن الهوى، فقد عَلِمْنَا بالضرورة أن ما ثبت من حديثه ﷺ مصون بالقدر الذي صان الله ﷻ به كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]»[٢].

---

(١) السنة المطهرة والتحديات ص ٩-١٠ أد/ نور الدين عتر.

(٢) نقد الحديث بالعرض على الوقائع والأحداث التاريخية ص١١.

«ومِنْ حِفْظِ الله تعالى لدينه وفَضْلِه على عباده أن هَيَّأَ لسُنَّة نبيه ﷺ مَنْ يحفظها وينقلها ويعلِّمها وينافح عنها وينفي عنها الدخيل، ويدحض شبهات المبطلين ويفندها»[1].

«وقد تنوعت أساليب العلماء وطرقهم في خدمة هذا المصدر العظيم من مصادر المعرفة الإسلامية، فكان المنهج السائد في عصر الصحابة هو حفظ حديث رسول الله ﷺ في الصدور، إلى جانب الكتابة لدى جماعة من الصحابة، فلما انقضى ذلك العصر بدأت مرحلة جمع الحديث وتدوينه، ثم كانت مرحلة التصنيف مرحلة لاحقة بما قبلها، حتى كانت بعد ذلك كله مرحلة جديدة كان جُل اهتمام العلماء فيها مُنصبًّا على الفرز والغربلة، بعد أن اختلط الصحيح بالمدخول، والغث بالسمين، لا سيما بعد طوفان الوضع الخطير، لولا أن قيض الله تعالى للسُّنة كتائب الحق من حملة الحديث وفرسانه، الذين ردوا عن ساحته كل عَادِيَةٍ من عوادي المبطلين، فحرروها من غوائل التزييف بكل عزم وإخلاص»[2].

ولقد بذل علماؤنا وسعهم حتى وصلتنا السُّنة المطهرة بيضاء نقية، كأن صاحبها عليه الصلاة والسلام يتكلم بها اليوم بين ظهرانينا، حتى

(١) شبهات حول السنة ص٤ للشيخ عبد الرزاق عفيفي.
(٢) نقد الحديث بالعرض على الوقائع والمسلمات التاريخية ص٧.

لقد صدق عليهم قول الإمام القدوة عبد الله بن المبارك حين سئل عن الأحاديث الموضوعة، فقال: «**يعيش لها الجهابذة**»[(١)].

ولله در العالم الرباني سفيان الثوري حيث قال: «**الملائكة حراس السماء وأهل الحديث حراس الأرض!!**»[(٢)].

ومن الأدلة على أن السنة محفوظة:

أنه كما حَفِظَ الله سبحانه لهذه الأمة قرآنها، فقد حَفِظَ لها سُنَّة نبيها ﷺ، يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر: ٩].

والذِّكْرُ في الآية يشمل القرآن والسُّنة، قال ابن حزم في «الإحكام»[(٣)]: (فَصَحَّ أن كلام رسول الله ﷺ كُلَّهُ في الدين وَحْيٌ من عند الله ﷻ لا شك في ذلك، ولا خلاف بَيْنَ أحد من أهل اللغة والشريعة في أن كل وَحْيٍ نزل من عند الله تعالى فهو ذِكْرٌ منزل.

فالوحي كله محفوظ بحفظ الله تعالى له بيقين، وكل ما تكفل الله بحفظه فمضمون ألا يضيع منه وألا يُحَرَّف منه شيء أبدًا تحريفًا لا

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١٨)، الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (ص ٣٧).

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (٤٢-٤٣).

(٣) الإحكام لابن حزم (١ / ١٠٩).

يأتي البيان ببطلانه، إذ لو جاز غير ذلك لكان كلام الله تعالى كذبًا وضمانه خائسًا[١]...، وهذا لا يخطر ببال ذي مسكة عقل، فوجب أن الذي أتانا به محمد ﷺ محفوظ بتولي الله تعالى حِفْظَه، مُبَلَّغ كما هو إلى كل ما طلبه مما يأتي أبدًا إلى انقضاء الدنيا.

قال تعالى: ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

فإذْ ذلك كذلك، فبالضرورة نعلم أنه لا سبيل البتة إلى ضياع شيء مما قاله رسول الله ﷺ في الدين، ولا سبيل البتة إلى أن يختلط به باطل موضوع اختلاطًا لا يتميز لأحد من الناس بيقين، إذْ لو جاز ذلك لكان الذكر غير محفوظ، ولكان قول الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ كذبًا ووعدًا مُخْلَفًا! وهذا لا يقوله مُسْلِم. اهـ

ويقول ابن قيم الجوزية[٢]: فنقول لمن جَوَّز أن يكون ما أمر الله به نبيه من بيان شرائع الإسلام غيرَ محفوظ، وأنه يجوز فيه، التبديل، وأن يختلط بالكذب الموضوع اختلاطًا لا يتميز أبدًا: أخبرونا عن إكمالِ الله تعالى لنا ديننا، ورضاه الإسلام لنا دينًا، ومنعِه مِن قبول كل دين سوى الإسلام،

(١) أي: فاسدًا منقوضًا. (انظر: لسان العرب٦/ ٧٤).
(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٥٤٣، ٥٤٤).

أكلٌّ ذلك باقٍ علينا ولنا وإلى يوم القيامة؟ أم إنما كان ذلك للصحابة ﷺ فقط؟ أو لا للصحابة ولا لنا؟ ولابد من أحد هذه الوجوه.

فإن قالوا: **لا للصحابة ولا لنا**؛ كان قائل هذا القول كافرًا لتكذيبه الله جهارًا، وهذا لا يقوله مسلم.

وإن قالوا: بل كل ذلك لنا وعلينا وإلى يوم القيامة؛ صاروا إلى قولنا ضرورةً، وصحَّ أن شرائع الإسلام كلها كاملة والنعمة بذلك علينا تامة.

وهذا برهان ضروري وقاطع على أن كل ما قاله رسول الله ﷺ في الدين، وفي بيان ما يلزمنا محفوظ لا يختلط به ما ليس منه أبدًا.

وإن قالوا: بل كان ذلك للصحابة فقط، قالوا الباطل، وخصصوا خطاب الله بدعوى كاذبة، إذ خطابه تعالى بالآيات الكريمة التي ذكرها عموم لكل مسلم في الأبد.

ولزمهم مع هذه العظيمة أن دين الإسلام غير كامل عندنا، والله تعالى رضي لنا منه ما لم يحفظه علينا، وألزمنا منه ما لا ندري أين نجده، وافترض علينا اتباع ما كذبه الزنادقة، ووضعوه على لسان رسوله ﷺ، أو وَهِمَ فيه الواهمون مما لم يقله نبيهم ﷺ - وهذا بيقين ليس هو دين

الإسلام، بل هو إبطال لدين الإسلام جهارًا، ولو كان هذا ـ ومعاذ الله أن يكون ـ لكان ديننا؛ كدين اليهود والنصارى الذين أخبر الله تعالى أنهم كتبوا الكتاب بأيديهم وقالوا: هذا من عند الله، وما هو من عند الله.

ونحن قد أيقنا بأن الله تعالى هو الصادق في قوله: ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ﴾[البقرة: ٢١٣]، وأنه تعالى قد هدانا للحق، فصح يقينًا أن كل ما قاله رسول الله ﷺ، هدانا الله تعالى له، وأنه حق مقطوع به حفظه الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس: ٦٤].

فلو جاز أن يكون ما نقله الثقات الذين افترض الله علينا قبول نقلهم والعمل به والقول، بأنه سُنة الله وبيان نبيه يمكن في شيء منه التحويل أو التبديل؛ لكان إخبار الله تعالى بأنه لا يوجد لها تبديل ولا تحويل كذبًا، وهذا لا يجيزه مسلم أصلًا؛ فَصَحَّ يقينًا لا شك فيه أن كل سُنة سنها الله ﷻ لرسوله، وسنَّها رسوله لأمته، لا يمكن في شيء منها تبديل ولا تحويل أبدًا، وهذا يوجب أن نقل الثقات في الدين؛ يوجب العلم بأنه حق كما هو من عند الله ﷻ). اهـ

۞ ۞ ۞

المطلب الثالث

السُّنة النبوية عطاء متجدد في سائر المجالات

أرسل الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ إلى الناس كافة، ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وأيده بالقرآن الكريم والسنة المشرفة، فقد روى أحمد، أبو داود[١] عَنْ الْمِقْدَام بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: ((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ)).

ولما كان النبي ﷺ مرسلًا إلى الناس كافة حتى قيام الساعة ـ لزم أن يبقى عطاء القرآن والسُّنة قائمًا متجددًا يتكرر كل يوم مدى العصور والأزمان؛ لتلبية حاجات المؤمنين، وتثبيت عقيدتهم كلما عصفت بهم فتنة أو شبهة.

«ولما كانت الرسالة المحمدية خاتمة الرسالات، وكانت ستبقى إلى آخر الدنيا تَشْهد تَقَدُّمَ الإنسان في العقل والتفكير والعلم، حتى يملك ناصيته، كان لابد أن تكون هذه المعجزة مستمرة مع الدعوة في كل عصر، تمدُّ الدعاة بأنواع من المعجزات توافق كل عصر يظهرونها للناس حتى يؤمنوا بصدق نبوة محمد ﷺ»[٢].

---

(١) سبق تخريجه هامش (٢) ص(٣١).

(٢) تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح أحمد (ص٧). وكتابه: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ٢٣).

ويرجع سر التجدد في عطاءات السنة النبوية إلى عدة أسباب منها:

(١) أن النبي ﷺ أُرْسِل بالحق، والحق ثابت لا يتغير على مَرِّ الأعصار، ودليل ذلك: قول الحق ﷻ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[البقرة: ١١٩]. وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[فاطر: ٢٤].

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [الفتح: ٨٢].

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾[الصف: ٩].

وما رواه أحمد أبو داود والحاكم وصححه ووافقه الذهبي[١] عن

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١١ / ٤٠٦ رقم ٦٨٠٢) عن يَحْيَى بْن سَعِيدٍ، وأبو داود في كتاب العلم – باب فِي كِتَابَةِ الْعِلْمِ (٣/ ٣٥٦ رقم ٣٦٤٨) عن مُسَدَّد، والدارمي في المقدمة – باب من رخص في كتابة العلم (١/ ١٣٦ رقم٤٨٤) عن مُسَدَّد، والحاكم (١/ ١٨٧رقم ٣٥٩) من طريق يَحْيَى بْن سَعِيدٍ ومُسَدَّد، كلاهما عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ الأَخْنَسِ، أَخْبَرَنَا الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، عَنْ يُوسُفَ بْنِ مَاهَكَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو به، ورجاله جميعهم ثقات ثبت السماع بينهم، وانتفت العلة والشذوذ، فالإسناد صحيح لا مطعن فيه، اللهم إلا أن يقال: إن الحافظ قال في «تقريب التهذيب» (ص: ٣٦٩ رقم ٤٢٧٥): (عبيد الله بن الأخنس النخعي، أبو مالك الخزاز– بمعجمات – صدوق، قال ابن حبان: كان يخطئ [كثيرًا])! وينظر: «الثقات» لابن حبان (٧ / ١٤٧ رقم ٩٤٠٥). قلت: قد قال عنه ابن معين: ثقة. كما في «تاريخ ابن معين رواية الدارمي» (١/ ١٣٩)، و«الجرح والتعديل» (٥ / ٣٠٧)، ووثقه أحمد كما في=

عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو قَالَ: كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا: أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا؟! فَأَمْسَكْتُ عَنْ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ الله ﷺ فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ، فَقَالَ: ((**اكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ**)).

«فهذا يدل على أن كل ما جاء في السُّنة المطهرة حَقٌّ لا مرية فيه، سواء كان إشارة إلى حقيقة علمية، أو قصة تاريخية عن نبي من الأنبياء، أو عن أحد من أهل زمانه، أو إثبات نَسَبٍ، أو إثبات خاصية دوائية في طعام ما أو شراب فإن كل ذلك حق لا يجوز الامتراء فيه، أو الزعم بأنه من أمور الدنيا التي يمكن أن يخطئ فيها رسول الله ﷺ»[1].

=«بحر الدم» لابن المبرد: (١/ ١٠٤) ووثقه أبو داود والنسائي كما في: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣)، وقد احتج به البخاري مسلم وخرجا له في صحيحيهما، وكفى بهما! والعجيب أن الحافظ رحمه الله تعالى رغم إيراده قول ابن حبان في «التقريب» ساكتًا عليه كأنه أقره! قد قال في «فتح الباري» (١٠/ ١٩٩): (عبيد الله بالتصغير بن الأخنس - بخاء معجمة ساكنة ونون مفتوحة- هو نخعي كوفي يكنى أبا مالك، ويقال: إنه من موالي الأزد، وَثَّقَهُ الأئمةُ، وَشَذَّ ابنُ حبان فقال في «الثقات»: يخطئ كثيرًا)!! وخلاصة القول: أن عبيد الله بن الأخنس: ثقة، ولا التفات إلى كلام ابن حبان رحمه الله، حيث إن الرجل قد ثبتت ثقته بيقين فلا ينزل عنها إلا بيقين، ولا يوجد!! والله أعلم.

(١) تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية (ص ٤٠) للدكتور صالح أحمد. وكتابه: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ٣٦).

ومن الحَقِّ الذي في كتاب الله تعالى والسُّنة النبوية: «الغُيُوبُ» التي كانت قَبْل النبي ﷺ، وكذا قصص الأنبياء السابقين، وما فيهما من الإخبار عما سيقع في مستقبل الأيام من الوقائع، سواء في الحياة الدنيا، أو ما بعدها من حوادث الآخرة، كظهور يأجوج ومأجوج، وإخراج الدابة، ووصول الإنسان في العلم إلى درجة يَظُنُّ معها أنه قادر على كل شيء في هذه الدنيا، وقيام الساعة بما فيها من الأهوال...

(٢) «بَيَّنَ الله تعالى في كتابه العزيز أن ما امتاز به رسول الله محمد ﷺ على غيره من البشر الذين يعيشون فوق هذه الأرض إنما هو الوحي الذي يصله برب السموات والأرضين، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فذكر الله تعالى أن محمدًا ﷺ لا يفترق عن البشر إلا بالوحي الذي يصله برب السماء، هذا الوحي الذي يأتيه من إله الكون الذي بيده ملكوت كل شيء، فهو سبحانه الذي يُعلِّمه مِنْ عِلْمِهِ، ويُلْقي في قلبه هذه العلوم التي تفيض على لسانه حقائقَ لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها في زمن خيَّم عليه الظلام والجهل، اللهم إلا إذا كان يُوحَى إليه.

وقد بَيَّن الله تعالى لنا أنه عَلَّم هذا الرسول من العلوم ما لم يعلم، قال ـ جل وعز ـ: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[النساء: ١١٣].

فهذه العلوم التي جاءت عن رسول الله ﷺ إنما هي من الوحي الرباني الذي أوحاه الله إليه، ومن العلوم التي عُلِّمَهَا رسولُ الله ﷺ ولذا قال النبي ﷺ: ((مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ))[١]»[٢].

(٣) أن النبي ﷺ بعثه الله تعالى بالهدى للناس جميعًا إلى أن تقوم الساعة، كما قال ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ

---

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن - باب كيف نزل الوحي، وأول ما نزل (٤/ ١٩٠٥ رقم٤٦٩٦) وكِتَاب الِاعْتِصَام بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ - بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِم» (٦/ ٢٦٥٤ رقم٦٨٤٦) واللفظ له، وأخرجه مسلم بنحوه في الإيمان - باب وُجُوبِ الإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ. (١/ ٩٢ رقم٤٠٢).

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ٢٣-٢٥).

إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وما رواه البخاري ومسلم[١] عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ، فَنَفَعَ الله بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً؛ فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)).

«فالسُّنة النبوية هداية للأمة في طريق الحياة الذي تحياه، تدلها على أفضل السبل، وتأخذ بأيديها إلى ما فيه خيرها في الدار الدنيا والدار الأخرى، ولذلك من أراد معرفة طرق الدعوة إلى الله تعالى، وإلى دينه وشريعته، فما عليه إلا أن يدرس حياة المصطفى ﷺ من أولها إلى آخرها»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كِتَاب الْعِلْم - بَاب فَضْلِ مَنْ عَلِمَ وَعَلَّمَ (١/ ٤٢ رقم٧٩)، ومسلم بنحوه في الفضائل - باب بَيَانِ مَثَلِ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ (٧/ ٦٣ رقم٦٠٩٣).

(٢) تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح أحمد (٤١).

ويجدر بنا أن ننقل في هذا المقام ما قاله العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ـ رحمه الله ـ عند تفسيره للمعوذتين أثناء الاحتفال الذي أقيم تكريماً لختمه تفسير القرآن الكريم، حيث سكت ابن باديس لحظة بعد أن قرأ حديثًا نبويًا[1] يطوي مكنونات جمة من المعاني، ثمَّ قال: «إنَّ القرآن كتاب الدهر ومعجزته الخالدة، فلا يستقلّ بتفسيره إلا الزمن، وكذلك كلام نبيّنا ﷺ المُبَيِّن له.

فكثير من متون الكتاب والسُّنّة الواردة في معضلات الكون ومشكلات الاجتماع، لم تُفهم أسرارها ومغزاها إلا بتعاقب الأزمنة، وظهور ما يصدقها من سُنن الله في الكون.

وكم فسّرت لنا حوادث الزمن واكتشافات العلم من غرائب آيات القرآن ومتون الحديث، وأظهرت منها للمتأخرين ما لم يظهر للمتقدِّمين»[2].

---

(١) وهو ما أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّيءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ، أَوْ جَرْحٌ، قَالَ النَّبِي ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا - وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا -: «بِاسْمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ بَعْضِنَا، لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا».

(٢) انظر: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ص ٤١١ للشيخ عبد الحميد بن باديس.

(إذا كان لهذا النص دلالته الواضحة على دور الزمان في تفسير القرآن والسُّنّة، واستيلاد المزيد من المعاني عن هذا الطريق، فإنَّ ابن باديس يَعْرِف أنَّ القرآن لا ينطق بهذه المعاني تلقائيًا، إنّما ينطق بذلك الرجال، وفي طليعتهم العلماء والمفسّرون والمتعاملون مع النصّ القرآني.

الأمر الذي يملي ضرورة تحلي هؤلاء بحيوية العقل وحركية الفكر ونباضته وابتعاده عن الجمود، وانفتاحه على معطيات الواقع من حوله، وما بلغته الإنسانية من خبرة ورقي وتقدّم، «العلماء القوّامون على كتاب الله وسنة رسوله لا يتلقّونها [أي: حوادث الزمن ومكتشفات العلوم وأسرار الكون والعمران] بالفكر الخامد والفهم الجامد، إنّما يترقّبون من سنن الله في الكون، وتدبيره في الاجتماع ما يكشف لهم عن حقائقها، ويكلون إلى الزمن وأطواره تفسير ما عجزت عنه أفهامهم.

وقد أثر عن جماعة من فقهاء الصحابة بالقرآن قولهم في بعض هذه الآيات: «لم يأت مصداقها أو تأويلها بعد». يعنون أنّه آت، وأنَّ الآتي به حوادث الزمان، ووقائع الأكوان، وكلّ عالم بعدهم فإنما يعطي صورة زمنه بعد أن يكيّف بها نفسه»[1].

---

(١) المصدر نفسه، ص٤١١.

لنلحظ كيف تدلّ الجملة الأخيرة على أنَّ العلماء في كلّ عصر يمثّلون في نتاجهم، صورة لفهم القرآن تعكس المستوى المعرفي الذي بلغه عصرهم، وأن هذه الصورة قابلة للتجدّد بتجدّد الأزمان.

هكذا يبقى كتاب الله معطاءً في كلّ عصر لا يَخْلَق على الأزمنة، ولا يعنت على الألسنة، وأيضًا: لا يزداد عند النشر إلا غضاضة؛ لأنه: لم يُجعل لزمان دون زمان، بل جُعل دليل البرهان، وحجّة على كلّ إنسان، ولأنه أيضًا: لم يجعل لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضّ إلى يوم القيامة.

وبعد أن يقدّم ابن باديس نماذج تفسيرية من سورة الفلق، لدور الزمان في بيان معاني النصّ على وجوه، وتعدّد الأفهام على صور، يختم بالقول: «وهكذا تأتي بعضُ المتون من كلام الله وكلام رسوله، معجزةً للعقول، فتتطاير من حولها الفهوم والآراء تطاير الشعراء، ويظن كل عقل أن حِرْفَتَهُ آلةٌ لتفسير تلك المتون، والعلوم حِرَفُ العقول، والزمان من وراء الكل يصيح: أن انتظروا!»)[1].

۞ ۞ ۞

(١) مجالس التذكير ص ٤١٣. وانظر: بحث «خصائص التفسير الباديسي»، لخالد توفيق، في مجلة الحياة الطيبة - بيروت (المجلد٤ - العدد٣ - لسنة٢٠٠٣ صفحة ١٧٣ - ٢١٢).

المبحث الثاني

مقدمة في الإعجاز

المبحث الثاني

مقدمة في الإعجاز

المطلب الأول

معنى الإعجاز لغة واصطلاحًا، ووجهه، والغاية منه

(لفظ الإعجاز لم يرد في الكتاب ولا في السُّنة، وإنما جاء في القرآن وفي السُّنة أنّ ما يعطيه الله جل وعلا للأنبياء والرسل، وما آتاه محمدًا عليه الصلاة والسلام، هو آية وبرهان على نبوته، فلفظ المعجزة لم يأتِ في الكتاب ولا في السُّنة، وإنما هو لفظ حادث، ولا بأس باستعماله إذا عني به المعنى الصحيح الذي سيأتي.

الذي جاء في القرآن: «الآيات» و«البراهين»؛ **لكن العلماء استعملوا لفظ الإعجاز لسبب**، وهو أن القرآن تحدى الله جل وعلا به العرب، تحدى الله جل وعلا العرب بأن يأتوا بمثله، أو أن يأتوا بعشر سور مثله، أو أن يأتوا بسورة من مثله، فلما تحداهم فلم يَغْلِبُوا، ولم يأتوا بما تحداهم به، فدل ذلك على عجزهم، وذلك بسبب أن القرآن مُعجِز لهم فلم يأتوا بمثله.

قال جل وعلا: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال جل وعلا: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [هود: ١٣-١٤].

إذا تبين ذلك: فالتحدي لَمَّا وقع، وعجزوا، وهم يريدون أي وسيلة لمعارضة القرآن وإثبات أنه قول البشر، لَمَّا عجزوا سَمَّى العلماء فِعْلَهم ذلك أو عجزهم: مسألة إعجاز القرآن؛ لأجل التحدي وعَجْزِ الكفار أن يأتوا بمثله)[1].

وإعجاز السُّنة يكون فيما اشتملت عليه، فالسُّنة اشتملت على أمور غيبية بأمر الماضي وبأمر المستقبل، لا يمكن أن يأتي بها النبي عليه الصلاة والسلام؛ واشتملت السُّنة أيضًا على أمور تشريعية لا يمكن أن تكون من عند النبي عليه الصلاة والسلام، واشتملت السُّنة على هداية للنفوس لا يمكن أن تكون من عند بشر.

---

(١) إعجاز القرآن (١٣- ١٤) للشيخ صالح بن عبد العزيز بتصرف.

١ ـ معنى الإعجاز لغة واصطلاحًا:

الإعجاز: هو السَّبْق والفَوْت، وإثبات العجز وإظهاره، وهو أيضًا جَعْلُ الآخر عاجزًا.

وأَعْجَزْتُ فلانًا، وعَجَّزْتُهُ، وعَاجَزْتُه: جَعَلْتُهُ عاجزًا. ومصدر أَعْجَزَ: إِعْجَاز، ومنه اشتقت «المُعْجِزَةُ» وهي اسم فاعل أُلْحِقَتْ به التاءُ للمبالغة[١].

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية: «المعجزة في اللغة: تعم كل خارق للعادة، وفي عُرْفِ أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل، وغيره، ويسمونها: الآيات»[٢].

قال الدكتور صالح أحمد رضا: (وقد قام كثيرون ممن تحدث عن المعجزة بتعريفها تعريفًا جديدًا ليُدْخِلَ فيها ما عُدّ حديثًا من أوجه الإعجاز، وقد اخترت تعريفًا أرجو أن يكون موفقًا، ويكون جامعًا مانعًا، وهو: **المعجزة أمر [خارق للعادة]**[٣] **يجريه الله تعالى على يد نبيه،**

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٣/ ٨٨٤)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٢٣٢)، مفردات غريب القرآن للأصفهاني (ص ٣٢٢)، لسان العرب لابن منظور (٥ / ٣٦٩).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ٢/ ٧٤٦ ومجموع الفتاوي ١١/ ٣١١-٣٣٥.

(٣) زيادة مهمة في التعريف، ليست من كلام الدكتور صالح رضا، ويُنْظَر: شرح الطحاوية - ط دار السلام - (١ / ٤٩٤).

أو علم يبديه في قوله، لا يقدر أحد من الخلق على الإتيان بمثله في زمانه، يكون دليلًا على نبوته لخروجه عن طاقة الخلق.

فيكون التعريف جامعًا لجميع الوجوه التي تُعَدُّ من الإعجاز حسب ما أرى، وإني أرى أن ما عُدّ من دلائل النبوة، وعلاماتها هو من الإعجاز بلا شك ولا ريب؛ لأن خرق العادة فيها كان لإثبات نبوة محمد ﷺ أجراه الله ﷻ ليؤكد للمؤمنين إيمانهم، ويزيدهم رسوخًا في هذا الإيمان، والتسليم لرسول الله المصطفى ﷺ ما قاله، وشَرَعَهُ، وَأَمَرَ به، وذلك لأنَّ خَرْقَ العادة له بمنزلة قول الله سبحانه: «صَدَقَ عبدي بما يقول»، والفاعل فيها هو الله تعالى وحده لا شريك له؛ إذ ليست من طبيعة فِعْلِ البشر.

وأما قولي: «في زمانه» فذلك لِتَدْخُلَ الأمور العلمية التي تحدث عنها القرآن العظيم في ثنايا آياته، وتَحَدَّثَ عنها رسول الله ﷺ في أحاديثه المتنوعة، حيث كانت غير مُدْرَكَةٍ في زمانه، وأصبحت اليوم يستطيع تَبَيُّنَها ومعرفةَ كنهها الكثيرُ.

وذلك لأن كثيرًا من الأمور التي تَحَدَّثَ عنها الوحي أصبحت تُفْهَمُ شيئًا فشيئًا كلما حَدَثَتْ اكتشافات جديدة أوضحت أمورًا في هذا الكون

الفسيح، تكشف ما احتواه الوحي من السبق في الإخبار عن حقائق علمية كانت في أذهان المؤمنين أمرًا عاديًا، بينما هي في نظر علماء الهيئة، وعلماء الكون حقيقة لم يتوصل إليها الإنسان إلا في عصر العلم الذي نعيش، ولذلك نرى أن الله تعالى قال في كتابه العظيم بصيغة المستقبل: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

فاكتشاف الحقائق العلمية في الكون، وفي النفس الإنسانية دليل واضح بأن ما أُنْزِلَ على محمد النبي الأمي ﷺ حقٌّ لا مرية فيه لمن ينظر بعين باصرة، وعقل متفتح)[١].

والإعجاز العلمي[٢]: «هو إخبار القرآن الكريم والسُّنة النبوية بحقيقة أثبتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكانية إدراكها بالوسائل البشرية في زمن الرسول ﷺ».

---

(١) انظر: تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح أحمد رضا ص ٢-٥، بحث قدم لندوة «عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة» أقامها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٤هـ. وكتابه: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (١/ ١٧- ٢٢) مطولًا.

(٢) انظر: تأصيل الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص: ٨١) للشيخ عبد المجيد الزنداني. وهذا التعريف يتفق مع التعريف الاصطلاحي السابق ذكره للمعجزة، فكل إعجاز علمي يُعرف من خلال التفسير العلمي، تقوم به الحجة على غير المسلمين. وهذا مما يُظهر صِدْق الرسول محمد ﷺ فيما أخبر به عن ربه ﷻ.

أو: (هو إبراز الحقائق القرآنية والنبوية التي أشارت إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالآفاق والأنفس، والتي جاء العلم الحديث موافقًا لها.

٢ـ ووجه الإعجاز يتركب من ثلاثة عناصر:

أـ عنصر الزمان.

ب ـ والرسول الأمي ﷺ.

ت ـ والكشف العِلْمي المتأخر.

وذلك أنه يستحيل عادة في **ذلك الزمان** ـ أي زمان الوحي ـ إدراك هذه الحقيقة بالوسائل البشرية المتاحة.

ويستحيل في كل زمان أن يدركها **رجل أمي** ﷺ لم يتعاط وسائل العلوم ومقدماتها الضرورية في كل زمان للوصول إلى نتائج معينة.

أما العنصر الثالث: فهو **الاكتشاف المتأخر** لهذه الحقيقة)[1].

«**وشرائط المعجزة خمسة**[2] فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة:

(١) من مقال للدكتور: عبد الله بن محفوظ بن بيه، بعنوان: «من ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة http: //www.nooran.org /O /10 /10-7.htm. - وهو منشور بالعدد العاشر لمجلة الإعجاز العلمي التابعة للهيئة المذكورة.

(٢) تفسير القرطبي (١ / ٦٩-٧١).

فالشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه.

والثاني: هو أن تخرق العادة.

والثالث: هو أن يستشهد بها مُدَّعي الرسالة على الله ﷻ.

والرابع: هو أن تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له

والخامس: ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة.

فإن تم الأمر المتحدى به المستشهد به على النبوة على هذا الشرط مع الشروط المتقدمة فهي معجزة دالة على نبوة من ظهرت على يده».

٣ ـ ما الغاية من الإعجاز؟ هل هو التعجيز أم ثبوت صدق المرسلين؟

ليس المقصود بالإعجاز إثباتَ العَجْزِ للخَلْقِ لذاته، من غير تَرَتُّبِ مطلبٍ على هذا العَجْز، بل المقصودُ لازِمُ هذا الإعجاز وهو: إقامةُ الحجةِ على أن هذا الادِّعاء حقٌّ، وأن الرسول الذي جاء به رسولُ صدقٍ، فينتقل الناس من الشعور بِعَجْزِهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر، لحكمة عالية، وهي: إرشادهم إلى تصديق من جاء به ليسعد في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

المطلب الثاني

الألفاظ والمصطلحات ذات العلاقة بالإعجاز[1]

---

(١) لم تكن كلمة (إعجاز) ولا (معجزة) شائعة في الاستعمال، وإنما جاء في القرآن الكريم اسم: "الآية" (بمعنى العلامة المبينة على صدق الرسول دافعة إلى الإيمان بالله، أكثر من ثمانين مرة في القرآن الكريم).

و"الآيات" (بهذا المعنى أكثر من ذلك).

و"البينة" (بهذا المعنى اثنتي عشرة مرة).

و"بينات" (أربعين مرة).

و"برهان" (جاءت هذه اللفظة بالمعنى المذكور في آيتين):

الأولى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [النساء: ١٧٤].

والثانية: ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ﴾ [القصص: ٣٢].

وقد بدأ استعمال المعجزة في أواخر القرن الثاني، وأوائل القرن الثالث في كتب العلماء الذين ألفوا في بيان أدلة الإعجاز في القرآن الكريم، فاستعملوا كلمة "الإعجاز" ومن ثمة "المعجزة".

هذا بالنسبة في القرآن الكريم، أما خوارق العادة التي جاءت في السنة النبوية، فقد أطلق عليها علماء السنة "علامات النبوة" كما جاء في أبواب صحيح البخاري، وكذا "دلائل النبوة" أَلَّفَ بهذا الاسم كتبًا أئمة مثل: أبي نعيم، والبيهقي، والماوردي، والفريابي".

ولكن العلماء لم يفرقوا بين الدلائل والمعجزات، لأن الأصل في المعجزة أن تكون أمام من ينكر النبوة، وأما الدلائل فهي أعم من ذلك فقد تكون أمام المؤمنين تُقَوِّي إيمانهم، وأمام غيرهم تدلهم على أن من ظهرت على يده هو مؤيد من قبل الله تعالى.

(انظر: تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية للدكتور صالح أحمد رضا – (ص ٢– ٥) بحث قدم لندوة "عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة" – يقيمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٤هـ. وكتابه: الإعجاز العلمي في السنة النبوية، (١/ ١٧– ٢٢) مطولًا.

المعجزة، والدليل، والعلامة، والآية:

فالمعجزة: مشتقة من العَجْز، وهو عَجْزُ الخصم أمام البرهان ليُقِرَّ بالقضية الدعوى (وَسُمِّيَتْ المُعجِزَة لِعَجْزِ مَنْ يَقَع عِنْدهمْ ذَلِكَ عَنْ مُعَارَضَتهَا) تلك عبارة ابن حجر[١].

وقد عَرَّفها بعضهم[٢] بأنها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدِّي سالمٌ من المعارضة.

أما الدليل: فقد اسْتُعْمِلَ جَمْعُهُ «دلائل» وهو جَمْعٌ على غير قياس كَرَهِين ورَصِيد، وقد استعمله البعض كأبي نعيم والبيهقي في «دلائل النبوة».

أما الآية: فهو اللفظ القرآني وهو يرادف العلامة لغة واستعمالاً[٣]، لأنه علامة على صدق النبي ﷺ في دعواه قال تعالى

---

(١) فتح الباري لابن حجر، كتاب المناقب بَاب عَلَامَات النُّبُوَّة فِي الْإِسْلَام (٦/ ٥٨١-٥٨٢).

(٢) انظر: شرح المقاصد في علم الكلام سعد الدين التفتازاني (٢/ ٢٧٦) الناشر دار المعارف النعمانية باكستان، والإتقان للسيوطي (٤/ ٣) طبعة دار التراث بالقاهرة. وانظر في بيان هذا التعريف وانتقاده والرد عليه: كتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص:١٥١) طبعة دار ابن الجوزي بالقاهرة، فإنه مهم.

(٣) جاء في لسان العرب (١٤/ ٥٦): الآيةُ من التنزيل ومن آيات القرآن العزيز... وسميت الآية من القرآن آية لأَنها علامة لانقطاع كلام من كلام. ويقال: سميت الآية آية لأَنها جماعة من حروف القرآن. وآيات الله: عجائبه.

وقال ابن حمزة: الآية من القرآن كأَنها العلامة التي يُفْضَى منها إِلى غيرها، كأَعلام الطريق المنصوبة للهداية، كما قال: إِذا مَضَى عَلَمٌ منها بدا عَلَم. والآية: العلامة... والآية: العِبْرَة... والعبَر سميت آية كما قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ ﴾ [يوسف: ٧] أَي: أمور وعِبَرٌ مختلفة، وجمع الآية آيٌ وآياتٌ. اهـ. بتصرف.

عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾[النمل: ١٢]، وقال: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾ [النمل: ١٣]. ووصف القرآن الكريم بأنه آيات: ﴿ الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴾.

[الحجر: ١]

أما العَلَامة: فقد أطلقها بعضهم كالإمام البخاري في صحيحه: (بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ)، وعلَّق عليه الحافظ ابن حجر بأن العلامة أعم من المعجزة والكرامة.

وقد بَيَّنَ فيما بعد أن العلامات: منها (مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ، وَمِنْها مَا وَقَعَ دَالًّا عَلَى صِدْقه مِنْ غَيْر سَبْق تَحَدٍّ) فيفهم من هذا أن العلامة أعم؛ إذْ كل معجزة علامة وليس كل علامة معجزة.

وقال الحافظ: المعْجزَة أَخَصّ (أي من العلامة) لِأَنَّهُ يُشْتَرَط فِيهَا أَنْ يَتَحَدَّى النَّبِيُّ ﷺ مَنْ يُكَذِّبهُ ... إلى أن يقول: وَيُشْتَرَط أَنْ يَكُون الْمُتَحَدَّى بِهِ مِمَّا يَعْجز عَنْهُ الْبَشَر فِي الْعَادَة الْمُسْتَمِرَّة[1].

(ووصف اللهُ تعالى إتيانَ النبي الأمي ﷺ بالقرآن[2] بأنه آية: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا

(١) المصدر السابق.
(٢) الأَوْلى حسب ظاهر الآية أن يقال: وَوَصَفَ اللهُ تعالى القرآن الكريم الذي أنزله على النبي الأمي ﷺ بأنه آية.

لَٱرۡتَابَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ﴾[العنكبوت: ٤٨- ٤٩]. ووَصَفَ اعترافَ أهل الكتاب بالقرآن الكريم بناء على ما وجدوه في كتبهم من وصفه بكونه آية: ﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوۡ نَزَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ بَعۡضِ ٱلۡأَعۡجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ ﴾.

[الشعراء: ١٩٧-١٩٩]

وهكذا فإن القرآن آيات بينات، والقرآن الكريم هو معجزة النبي ﷺ الكبرى الباقية ما بقي الزمان شاهدًا لأهل كل زمان يشهدون منها ما يدفعهم إلى الإيمان حسب ما سبق في علمه - جل وعلا- من هدايتهم على حد قوله ﷺ: ((**مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**))[١].

فالدلائل، والعلامات، والآيات، والمعجزات، ألفاظ متقاربة توصف بها الخصائص المميزة لشجرة النبوة التي لا تشبهها شجرات البشرية)[٢].

۞۞۞

(١) سبق تخريجه ص ٤٨ هامش (١).

(٢) من ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. للدكتور: عبد الله بن محفوظ بن بيه.

المطلب الثالث

مجالات الإعجاز

يقول الأديب مصطفى صادق الرافعي رحمه الله في وصفه للقرآن الكريم: «إنه هداية إلهية يحمل في نفسه دليل إعجازه، ويكون القرآن منفردًا في التاريخ بأنه منذ أُنزل لا يبرح في كل عصر يَظْهَرُ من ناحيتين صادقتين: ناحية الماضي، وناحية الحاضر... ولم يأتِ دين من الأديان بمعجزة توضع بين أيدي الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم غير الإسلام، بما أنزل فيه من القرآن...».

ثم هو يصف إعجازه بأنه: «...مشْغَلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة، يأتي الجيل من الناس ويمضي، وهو باقٍ بحقائقه ينتظر الجيل الذي يخلفه؛ كما أنه مشْغَلة الفكر الإنساني...»[1].

وقد سبق أن ذكرنا أن السُّنة النبوية وحي من عند الله تعالى عَلَّمه إياها، وليست أقوالًا من عند محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي وصل إليها بسعيه وجِدِّه، «لذلك لا بُدَّ أن تكون وجوه الإعجاز في السُّنة هي وجوه الإعجاز في القرآن الكريم نفسها، اللهم إلا الطرف

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص: ١٢و١٣). لأديب الإسلام مصطفى صادق الرافعي.

الأول من الوجه الأول، أقصد إعجازه اللغوي والصرفي والبلاغي، والبنائي؛ لأن ذلك كان في جانب القرآن لأنه كلام الله، أما السُّنة فاختيار الألفاظ والكلمات من عند رسول الله ﷺ فلذلك كانت بشرية الألفاظ، فلم تكن معجزة من هذا الجانب»[١].

(بيد أن رسول الله ﷺ كان أفصح العرب، وليس فوقه مقدار إنساني من البلاغة والتسديد وبراعة القصد والمجيء في كل ذلك من وراء الغاية، ولا نعلم أن هذه الفصاحة قد كانت له ﷺ إلا توفيقًا من الله وتوقيفًا.

فكان ﷺ كأنما تكاشفه اللغة بأسرارها، وتبادره بحقائقها؛ فيخاطب كل قوم بلحنهم وعلى مذهبهم، ثم لا يكون إلا أفصحهم خطابًا، وأسدَّهم لفظًا، وأبينهم عبارة، ولم يعرف ذلك لغيره من العرب، ولو عُرف لقد كانوا نقلوه، وتحدثوا به واستفاض فيهم.

ومثل هذا لا يكون لرجل من العرب إلا عن تعليم أو تلقين، أو رواية عن أحياء العرب حيًا بعد حي، وقبيلًا بعد قبيل، حتى يَفْلي[٢] لغاتهم، ويتتبع مناطقهم، مستفرغًا في ذلك متوفرًا عليه.

(١) تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية (ص ٣٥)، والإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ٣٣- ٣٥).

(٢) فَلَيْت الشِّعر: إذا تدبرته واستخرجت معانيه وغريبه، وفَلَيْت الأمر إذا تأملت وجوهه. (انظر: لسان العرب: ١٥ / ١٦١).

وقد علمنا أنه ﷺ لم يتهيأ له شيء مما وصفنا، ولا تهيأ لأحد من سائر قومه على ذلك الوجه علمًا ليس بالظن، ويقينًا لا مساغ للشبهة فيه، إذ ترادفت به طرق الأخبار المتواترة، وكان مصداقه من أحوال العرب أنفسهم، فما عُرف أن أحدًا منهم تَقَصَّصَ اللغات وحفظ ما بينها من فروق الأوضاع واختلاف الصيغ وأنواع الأبنية، واستقصى لذلك يستظهر به عليهم أو ينتحله فيهم، بل كانت هذه الأسباب مقطوعة منهم، لا تجد في الطبيعة ما يمتد بها، أو ينميها، أو يجعل لها عندهم شأنًا، أو يبغيها حاجة من الحاجات الباعثة عليها.

فليس إلا أن يكون ما خُص به النبي ﷺ من ذلك قد كان توفيقًا وإلهامًا من الله[1]، أو ما هذه سبيله، مما لا ننفذ في أسبابه، ولا نقضي فيه بالظن، فقد علَّمه الله من أشياء كثيرة ما لم يكن يعلم، حتى لا يعيا بقوم إن وردوا عليه، ولا يُحصر إن سألوه، ولا يكون في كل قبيل إلا منهم؛ لتكون الحجة به أظهر، والبرهان على رسالته أوضح، وليُعلم أن ذلك له خاصة من دون العرب، فهو يفي بهم في هذه الخصلة البينة، كما يفي بهم في خصال أخرى كثيرة.

---

(١) الصواب أن يقال: إنه وحي من الله تعالى وليس مجرد توفيق أو إلهام، والفرق بينهما واضح وكبير. (أفادني هذا التعليق: فضيلة شيخنا الكريم أ.د مروان شاهين -حفظه الله تعالى-).

ثم إن العرب جميعًا مع أن الفصاحة أكبر أمرهم والكلام سيد عملهم، ما ردوه ﷺ، ولا غضوا منه، ولا وجدوا إلى نقضه سبيلًا، ولا أصابوا للتهمة عليه طريقًا، ولو كان فيهم أفصح منه لعارضوه به، ولأقاموه في وزنه، ثم لجعلوا من ذلك سبيلًا لنقض دعوته والإنكار عليه، غير أنهم عرفوا منه الفصاحة على أتم وجوهها وأشرف مذاهبها، ورأوا له ما ليس لهم ولا يتعلقون به ولا يطيقون.

فكان ﷺ متصرف اللسان، يضعه من الكلام حيث شاء، لا يَستكره في بيانه معنى، ولا يندُّ في لسانه لفظ، ولا تغيب عنه لغة، ولا يعتريه ما يعتري البلغاء من تفاوت ما بين العبارة والعبارة، والعلو في موضع والنزول في موضع، بل خرج سبكه خالصًا لا شوب فيه، وكأنما وضع يده على قلب اللغة ينبض تحت أصابعه، وأنه ﷺ في ذلك آية من آيات الله لأولئك القوم، و﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧][1].

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص: ٢٢٨-٢٣٢) بتصرف.

ووجوه الإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية كثيرة منها[1]:

أ- **الإعجاز البياني والبلاغي:** وينقسم إلى: الإعجاز البياني، والإعجاز بالنظم، والإعجاز الصوتي، وحسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحتها[2]، قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

وبعد هذا التحدي انقطعوا فلم يتقدم أحد، فمد لهم في الحبل وتحداهم بعشر سور مثله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [هود: ١٣].

---

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (ص٤٥٧ - ٤٦٢) للدكتور سعيد بن وهف القحطاني، ومقال للدكتور: عبد الله بن محفوظ بن بيَّه، بعنوان: من ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة http: //www.nooran.org /O /١٠ /١٠-٧.htm. بتصرف.

(٢) هذا النوع من الإعجاز إنما هو بالنسبة إلى القرآن الكريم، ومع ذلك فإننا نرى أحاديث كثيرة من أحاديث رسول الله ﷺ لها طابع الإعجاز العربي من حيث قوة الأسلوب، ومتانة التركيب، وبلاغة المعنى المقصود، وغزارة المقصود، ولذلك نرى الإمام ابن حجر يقول (فتح الباري: ١٣/ ٢٤٨): "إن دخول القرآن في قوله: "بُعِثْتُ بجوامعَ الكَلِم" لا شك فيه، وإنما النزاع هل يدخل غيره من كلامه من غير القرآن؟" ثم ذكر أمثلةً من جوامع الكلم في القرآن والسنة، ثم قال: "إلى غير ذلك مما يكثر بالتتبع. قال: وإنما يُسَلَّم ذلك فيما لم تتصرف الرواة في ألفاظه". [انظر: تجربتي مع الإعجاز (ص ٣٥)، والإعجاز العلمي في السنة النبوية (١/ ٣٣- ٣٥)].

فعجزوا فأرخى لهم في الحبل، فقال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [يونس: ٣٨]، ثم أعاد التحدي في المدينة بعد الهجرة، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣-٢٤].

فقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ ﴾ أي: فإن لم تفعلوا في الماضي، ولن تستطيعوا ذلك في المستقبل، فثبت التحدي، وأنهم لا يستطيعون أن يأتوا بسورة من مثله فيما يستقبل من الزمان، كما أخبر قبل ذلك، وأمر النبي ﷺ وهو بمكة أن يقول: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

«فَعَمَّ بأمره له أن يخبر جميع الخلق معجزًا لهم، قاطعًا بأنهم إذا اجتمعوا لا يأتون بمثل هذا القرآن، ولو تظاهروا وتعاونوا على ذلك، وهذا التحدي لجميع الخلق، وقد سمعه كلُّ من سمع القرآن،

وعرفه الخاص والعام، وعلم مع ذلك أنهم لم يعارضوه، ولا أتوا بسورة مثله من حين بعث ﷺ إلى اليوم والأمر على ذلك»[١].

وأما النبي ﷺ فقد «أَدَّبه الله على عينه، ليُبلِّغ شرعه إلى خَلْقِه، لذلك فقد أعطاه جوامع الكلم هبة منه وفضلًا، وألهمه المعاني والأفكار عطاء منه وكرمًا، ولهذا فقد سَلِمَ المنطق النبوي من العيوب، وحوى كل مقومات الفصاحة والبلاغة»[٢].

ب ـ الإعجاز الغيبي: من وجوه الإعجاز القرآني والنبوي أنهما اشتملا على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا عِلْم لنبينا محمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يَعْلَمها، وهذا مما يدل على أن القرآن والسُّنة وحي الله ـ تعالى ـ الذي لا تخفى عليه خافية: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وينقسم الإعجاز الغيبي إلى ثلاثة أقسام على حسب عصر النبوة:

الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص الرائعة وجميع ما أخبر الله به في القرآن والسُّنة عن ماضي الأزمان.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٤ / ٧١-٧٧).

(٢) أضواء على البلاغة النبوية، ص ٢٠. د. إبراهيم طه الجعلي: ط١ مكتبة الرشد الرياض، السعودية ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤م.

الثاني: غيوب الحاضر، وهو عصر النبوة: أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

الثالث: غيوب المستقبل: أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدل ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا ﷺ رسول الله.

ث- الإعجاز التشريعي: فقد جاء القرآن العظيم والسُّنة المشرفة بهدايات كاملة تامة، تفي بحاجات جميع البشر في كل زمان ومكان؛ لأن الذي أنزلها هو العليم بكل شيء، خالق البشرية والخبير بما يصلحها ويفسدها، وما ينفعها ويضرها، فإذا شَرَعَ أمرًا جاء في أعلى درجات الحكمة والخبرة ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

ويزداد الوضوح عند التأمل في أحوال الأنظمة والقوانين البشرية التي يظهر عجزها عن معالجة المشكلات البشرية، ومسايرة الأوضاع والأزمنة والأحوال، مما يضطر أصحابها إلى الاستمرار في التعديل والزيادة والنقص، فيلغون غدًا ما وضعوه اليوم؛ لأن الإنسان محل النقص والخطأ، والجهل لأعماق النفس البشرية، والجهل بما يحدث غدًا في أوضاع الإنسان وأحواله، وفيما يُصلح البشرية في كل عصر ومصر.

وهذا دليل حسي مشاهد على عجز جميع البشر عن الإتيان بأنظمة تُصْلِح الخلق وتُقَوِّم أخلاقهم، وعلى أن القرآن والسُّنة سليمان من كل عيب، وعلى أن القرآن والسُّنة كفيلان برعاية مصالح العباد، وهدايتهم إلى كل ما يصلح أحوالهم في الدنيا والآخرة إذا تمسكوا بهما واهتدوا بهديهما، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: ٩].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ خَطَبَ الناسَ في حَجَةِ الوَدَاعِ فقال: ((إِنِّي قَد تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ الله وَسُنَّةَ نَبِيِّه)). وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِنِّي قَدْ خَلَّفْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا أَخَذْتُمْ بِهِمَا أَوْ عَمِلْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ))[١].

---

(١) حسن: قال ابن عبد البر: في "التمهيد" (٢٤/ ٣٣١) تعليقًا على رواية مالك لهذا الحديث بلاغًا في ("الموطأ":٢/ ٨٩٩ رقم ١٥٩٤): (وهذا أيضًا محفوظ معروف مشهور عن النبي ﷺ عند أهل العلم شهرة يكاد يستغني بها عن الإسناد).

قلت: ورد من حديث مجموعة من الصحابة، وهي بمفرداتها لا تخلو من ضعف بعضه شديد والآخر غير شديد، ومِنْ أَمْثلِهَا:

١ـ حديث ابن عباس، أخرجه:

الحاكم في "المستدرك" (١/ ١٧١ رقم ٣١٨) قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الفقيه، أنبأ العباس بن الفضل الأسفاطي، ثنا إسماعيل بن أبي أويس. [(ح)] وأخبرني إسماعيل بن محمد بن الفضل الشعراني، ثنا جدي، حدثنا ابن أبي أويس، قال، حدثني أبي، عن ثور بن زيد الديلي، عن عكرمة، به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع. (وما بين المعكوفين=

= في إسناد الحاكم أضفته للتوضيح من كتاب "الاعتقاد" للبيهقي).
والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٠/ ١١٤رقم٢٠٨٣٣) من طريق الحاكم السابقة.
وفي الاعتقاد له أيضًا (١/ ٢٣١ رقم ٢٠٦).
والآجري في "الشريعة" (٥/ ٢٢٢٠ رقم ١٧٠٥) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا أبو بكر شاذان قال: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس بن أخت، مالك بن أنس قال: حدثني أبي، عن عبد الله بن أبي عبد الله النَّضري، وعن ثور بن زيد الدِّيْلِي، عن عكرمة، به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع.
والعقيلي في الضعفاء الكبير (٤/ ٣٩) قال: حدثنا محمد بن إسماعيل، والعباس بن الفضل الأسفاطي قالا: حدثنا إسماعيل بن أبي أويس قال: حدثني أبي عن عبد الله بن أبي عبد الله [سالم مولى مالك بن أوس] النصري، وعن ثور بن يزيد الديلي، عن عكرمة به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع.
والمروزي في السنة (ص ٢٥ رقم ٦٨) قال: حدثنا محمد بن يحيى [هو الذُهْلي]، ثنا ابن أبي أويس، حدثني أبي، عن عبد الله بن أبي عبد الله النصري، وعن ثور بن يزيد الديلي، عن عكرمة به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع.
والخطيب البغدادي في "المتفق والمفترق" (٣/ ٧ ترجمة رقم٨٠٨) قال: أخبرنا الحسن بن أبي بكر، أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الله القطان، حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، حدثنا أبي، عن عبد الله بن أبي عبد الله النصري، وعن ثور بن زيد عن عكرمة به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع.
وابن حزم في الإحكام (٦ / ٢٤٣) من طريق العقيلي السابقة. قال: وإنما الصحيح في هذا الباب ما ناولنيه بعض أصحابنا، وحدثنيه أيضًا يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، كلاهما عن أبي الوليد عبد الله بن يوسف القاضي، عن ابن الدخيل، عن العقيلي، به.
قال الحاكم: وقد احتج البخاري بأحاديث عكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس، وسائر رواته متفق عليهم، وهذا الحديث لخطبة النبي ﷺ متفق على إخراجه في الصحيح: "يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون" وذِكْرُ الاعتصام بالسنة في هذه الخطبة غريب، ويُحتاج إليها، وقد وجدت له شاهدًا من حديث أبي هريرة.
وقال الذهبي في "التلخيص": احتج البخاري بعكرمة، واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله، وله أصل في الصحيح. =

= قلت: وهذا إسناد حسن: إسْمَاعِيل بن أبي أُوَيْس: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، كما في "التقريب" لابن حجر ص(١٠٨) وهو وإنْ كان شيخ البخاري وقد خرج له انتقاء ومتابعة، فإنه حسن الحديث في المتابعات والشواهد. وأما أبوه: فهو عبد الله بن عبد الله بن أويس، وهو صدوق يهم، كما في "التقريب" لابن حجر ص(٣٠٩). فهو وإن روى له مسلم متابعة، ففيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وهو حسن الحديث في المتابعات والشواهد.

وهذا الحديث: ليس معدودًا في ما أخطأ فيه إسماعيل بن أبي أويس وأبوه، وليس فيه مخالفة لغيره. كما أنه يشهد له حديث زيد بن أرقم الذي أخرجه أحمد (٣٢/ ٦٤ رقم ١٩٣١٣) والطبراني (٥/ ١٨٦ رقم ٥٠٤٠) والطحاوي واللفظ له في "شرح مشكل الآثار" (٩/ ٨٨ رقم ٣٤٦٣) من طريق علي بن ربيعة قال: لَقِيتُ زَيْدَ بْنَ الأَرْقَمِ وَهُوَ دَاخِلٌ عَلَى الْمُخْتَارِ أَوْ خَارِجٌ، فَقُلْتُ: "مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ؟ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي؟" قَالَ: "نَعَمْ"، وإسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح، وتوفرت فيه شروط الصحة كلها.

وعترة الرجل: أهل بيته ورهطه الأدنون. والمقصود من "أهل البيت" إنما هم العلماء الصالحون منهم والمتمسكون بالكتاب والسنة، قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله تعالى: "وَعِتْرَتُهُ: هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ الَّذِينَ عَلَى دِينِهِ، وَعَلَى التَّمَسُّكِ بِأَمْرِهِ".

وذكر نحوه الشيخ علي القاري في "المرقاة" (٥/ ٦٠٠) ثم استظهر أن الوجه في تخصيص أهل البيت بالذكر ما أفاده بقوله: "إن أهل البيت غالبًا يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم، المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحُكمه وحكمته. وبهذا يصلح أن يكون مقابلًا لكتاب الله سبحانه كما قال: ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[البقرة: ١٢٩]".

ومثله قوله تعالى في خطاب أزواجه ﷺ في آية التطهير: ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾[الأحزاب: ٣٤].

فتبين أن المراد بـ(أهل البيت) المتمسكون منهم بسنته ﷺ، فتكون هي المقصود بالذات في الحديث، ولذلك جعلها أحد (الأَمْرَيْن) -في حديث ابن عباس- المقابلَ للأمر الأول وهو كتاب الله.

والحاصل أن ذكر أهل البيت في مقابل (القرآن) في حديث زيد بن أرقم كذكر سُنة الخلفاء الراشدين مع سُنته ﷺ في قوله: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ...".

قال الشيخ القاري (١/ ١٩٩): "فإنهم لم يعملوا إلا بسنتي، فالإضافة إليهم، إما لعملهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إياها". =

= إذا عُرِفَ ما تقدم؛ فحديث زيد بن أرقم شاهدٌ قوي لحديث ابن عباس الذي معنا. والله أعلم. (وانظر: السلسلة الصحيحة للألباني رقم ١٧٦١).
تنبيه: عبد الله بن أبي عبد الله النَّصْري - بالنون - كما في "إكمال الإكمال" (١/ ٣٩١) وهو يروي عن عكرمة، وعنه ابن أبي أويس، (وانظر غير مأمور: المتفق والمفترق للخطيب: ٦/٣ وما بعدها) ولم أجد فيه جرحًا ولا تعديلًا. إلا أنه مقرون في الرواية بـ: ثور بن زيد الدِّيلي، وهو ثقة كما في "التقريب" (ص: ١٣٥). وقد ظن محقق "الشريعة" للآجري طبعة دار الوطن بالرياض، أنه: عبد الله بن أبي عبد الله البصري أبو شعيب البناني! وليس هو المذكور في الإسناد!! وإنما أتاه هذا الظن من تحريف "النصري" بالنون إلى "البصري" بالباء الموحدة!!
وللحديث طريق أخرى عن ابن عباس، أخرجها:
الآجري في "الشريعة" (٥/ ٢٢١٨ -٢٢٢٠ رقم١٧٠٤) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي داود قال: حدثنا عبد الله بن شبيب الرَّبَعي، قال: حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان، قال: حدثني أبي، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عكرمة عن ابن عباس به جزءًا من حديث طويل في خطبة حجة الوداع.
قلت: وهذا سند ضعيف؛ فيه عبد الله بن شبيب الربعي الأخباري: وَاهٍ؛ كما قال الذهبي في "المغني في الضعفاء" (١/ ٣٤٢).
٢ـ حديث أبي هريرة، أخرجه:
الحاكم في "المستدرك"(١/ ١٧٢ رقم ٣١٩) قال: أخبرنا أبو بكر بن إسحاق الفقيه، أنبأ محمد ابن عيسى بن السكن الواسطي، ثنا داود بن عمرو الضَّبِّي.
والدارقطني في "سننه" (٤/ ٢٤٥ رقم ١٤٩) قال حدثنا أبو بكر الشافعي، نا أبو قبيصة محمد ابن عبد الرحمن بن عمارة بن القعقاع، نا داود بن عمرو.
والعقيلي في "الضعفاء" (٤/ ٢٤٠ رقم ٩١٤) قال: حدثنا موسى بن إسحاق، حدثنا محمد ابن عبيد المحاربي.
وابن حزم في "الإحكام" (٦/ ١٤٣) قال: وإنما الصحيح في هذا الباب ما ناولنيه بعض أصحابنا، وحدثنيه أيضًا يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، كلاهما عن أبي الوليد عبد الله بن يوسف القاضي، عن ابن الدخيل، عن العقيلي، به.
وابن شاهين في "الترغيب في فضائل الأعمال" (٢/ ١٠٩ رقم ٥٢٨) وفي "شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين (ص ٤٦ رقم ٤٣) قال: حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، ثنا موسى بن إسحاق الأنصاري، ثنا محمد بن عبيد بن محمد المحاربي. =

= وأبو بكر الشافعي في "الفوائد الشهير بالغيلانيات" (٢/ ١٠٩ رقم ٥٩٧) قال: حدثنا أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن بن عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، ثنا داود بن عمرو.

والخطيب البغدادي في "الجامع لأخلاق الراوي" (١/ ٩٥ رقم ٨٩) قال: أخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس النِّعَالي، أنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سالم الخُتُّلِي، نا موسى بن إسحاق القاضي، نا محمد بن عبيد يعني المحاربي.

وفي "الفقيه والمتفقه" (١/ ٣٠٤ رقم ٢٧٠) قال: أنا أبو الحسين علي، وأبو القاسم عبد الملك أنبا محمد بن عبد الله بن بشران، قالا: أنا أبو أحمد حمزة بن محمد بن العباس، نا عبد الكريم بن الهيثم، نا العباس بن الهيثم.

وفي (١/ ٣٠٥ رقم٢٧١) قال: أنا أبو طالب، محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز، نا محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي، نا أبو قبيصة، محمد بن عبد الرحمن بن عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، نا داود بن عمرو.

واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة" (١/ ١٠٤ رقم٨١) قال: أخبرنا عيسى بن علي بن عيسى، أنبا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ثنا داود بن عمرو.

والبيهقي في "السنن الكبرى" (١٠/ ١١٤ رقم ٢٠٨٣٤) قال: أَخْبَرَنَا أَبُو الْحُسَيْنِ بْنُ بِشْرَانَ الْعَدْلُ بِبَغْدَادَ، أَنْبَأَنَا أَبُو أَحْمَدَ حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْعَبَّاسِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْهَيْثَمِ، أَنْبَأَنَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْهَيْثَمِ.

كلهم - داود بن عمرو، ومحمد بن عبيد، والعباس بن الهيثم - عن صالح بن موسى الطلحي، عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض**). واللفظ للحاكم والباقون قريبًا منه.

وفي رواية العقيلي وابن شاهين والخطيب في الموضعين الأولين واللالكائي والبيهقي: (**لن تضلوا بعدهما أبدًا ما أخذتم بهما وعملتم بهما**).

قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ مداره على صالح بن موسى الطلحي، وهو متروك كما قال الحافظ في "التقريب" (ص٢٧٤). =

=وورد في الإسناد عند الخطيب في «الجامع» وابن شاهين: تمييز أبي صالح بـ: "مولى أم حبيبة زوج النبي ﷺ"، ولم أجد له رواية عن أبي هريرة، كما أن أحدًا لم يذكره في مشايخ عبد العزيز بن رفيع!! وإنما الذي روى عنه عبد العزيز هو أبو صالح السمان، وقد روى أبو صالح عن أبي هريرة.

٣. عمرو بن عوف، أخرجه:

ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (٢ / ٥٥ رقم ٧٢٤ ط مؤسسة الريان) قال: حدثنا سعيد بن عثمان، قال: حدثنا أحمد بن دحيم، قال: حدثنا محمد بن إبراهيم الدُّوَلِيّ، قال: حدثنا علي بن زيد الفَرَائضي، قال: حدثنا الحُنَيْنِي، عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: **(تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه ﷺ).**

و(٢ / ٢٢٢ رقم ٩٥١) قال: أخبرنا عبد الوارث بن سفيان، قال: حدثنا قاسم بن أصبغ، قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن عمر بن محمد العثماني بالمدينة، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة، قال: حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني به.

وسنده ضعيف جدًا، فيه:

١ - **كثير بن عبد الله:** ضعيف، (التقريب ص ٤٦٠). بل «متروك»، كما قال الذهبي في «المغني في الضعفاء» (٢/ ٥٣١).

٢ - **أبوه: عبد الله بن عمرو بن عوف:** مقبول. (التقريب ص ٣١٦). بل «مجهول» لم يرو عنه سوى ابنه، وذكره ابن حبان في الثقات.

٣ - **إسحاق بن إبراهيم الحُنَيْنِيّ:** ضعيف. (والتقريب ص ٩٩).

٤ - حديث أنس بن مالك، أخرجه:

أبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٤/ ١٨٧ رقم ١١٤٩) قال: حدثنا أحمد بن سعيد، قال: ثنا عبد الواحد [بن غياث]، قال: ثنا هشام [بن سليمان المُجَاشِعِيّ]، عن يزيد الرَّقَاشي، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **"لقد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وسنة نبيه".**

قلت: يزيد بن أبان الرَّقَاشي زاهد ضعيف، كما في «تقريب التهذيب» (ص ٥٩٩). وتلميذه: هشام بن سليمان، قال عنه ابن عدي في "الكامل" (٧/ ١٠٨): (له من الحديث عن يزيد الرقاشي عن أنس ولا أعلم يروى عن غير يزيد الرقاشي... وأحاديثه عن يزيد غير محفوظة)، وقال ابن حبان في "المجروحين" (٣/ ٨٩): (منكر الحديث جدًا، ينفرد عن الثقات بالمناكير=

وبالجملة فإن الشريعة التي جاء بها كتاب الله ـ تعالى ـ وسُنة نبيه ﷺ مدارها على ثلاث مصالح:

المصلحة الأولى: درء المفاسد عن ستة أشياء: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال.

المصلحة الثانية: جلب المصالح: فقد فتح القرآن والسُّنة الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، وسَدَّ كل ذريعة تؤدي إلى الضرر.

= الكثيرة وعن الضعفاء بالأشياء المقلوبة على قلة روايته لا يجوز الاحتجاج به فيما وافق فكيف إذا انفردا).

٥- حديث أبي سعيد الخدري، أخرجه:

الخطيب البغدادي في "الفقيه والمتفقه" (١ / ٣٠٦ رقم ٢٧٢) قال: أنا أبو طالب محمد بن علي ابن إبراهيم البيضاوي، أنا محمد بن العباس الخزاز، نا أبو بكر بن المجدد، نا عبد الله بن عمر، حدثني شعيب هو ابن إبراهيم التميمي، نا سيف يعني ابن عمر، عن أبان بن إسحاق الأسدي، عن الصباح بن محمد، عن أبي حازم، عن أبي سعيد الخدري، قال: خرج رسول الله ﷺ علينا في مرضه الذي توفي فيه، ونحن في صلاة الغداة، فذهب أبو بكر ليتأخر، فأشار إليه مكانك، وصلى مع الناس، فلما انصرف، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: "يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وسنتي؛ فاستنطقوا القرآن بسنتي، ولا تعسفوه، فإنه لن تعمى أبصاركم، ولن تزل أقدامكم، ولن تقصر أيديكم ما أخذتم بهما"..

قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه: شعيب بن إبراهيم، قال ابن عدي (الكامل في ضعفاء الرجال: ٤/ ٤): "له أحاديث وأخبار، وهو ليس بذلك المعروف، ومقدار ما يروي من الحديث والأخبار ليست بالكثيرة، وفيه بعض النكرة".

وأما سيف بن عمر، فهو ضعيف في الحديث كما قال الحافظ في "التقريب" (ص ٢٦٢)، بل "متروك باتفاق" كما قال الذهبي في "المغني في الضعفاء": (١/ ٢٩٢)؛ والصباح بن محمد: ضعيف أيضًا، كما في "التقريب" (ص ٢٧٤).

المصلحة الثالثة: الجَرْيُ على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات.

فالقرآن الكريم والسُّنة النبوية حَلَّا جميع المشاكل العالمية التي عجز عنها البشر، ولم يتركا جانبًا من الجوانب التي يحتاجها البشر في الدنيا والآخرة إلا وضعا لها القواعد، وَهَدَيَا إليها بأقوم الطرق وأعدلها.

ث ـ الإعجاز العلمي الحديث:

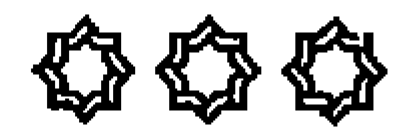
يتصل بما ذُكِر من إعجاز القرآن والسُّنة في إخبارهما عن الأمور الغيبية المستقبلة نوعٌ جديد كَشَفَ عنه العلمُ في العصر الحديث، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

لقد تحقق هذا الوعد من ربنا في الأزمنة المتأخرة، فرأى الناسُ آيات الله في آفاق المخلوقات بأدق الأجهزة والوسائل: كالطائرات، والغواصات، وغير ذلك من أدق الأجهزة الحديثة التي لم يمتلكها الإنسان إلا في العصر الحديث... فَمَنْ أخبر محمدًا ﷺ بهذه الأمور الغيبية قَبْلَ ألف وأربعمائة وثلاثين عامًا؟! إن هذا يدل على أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا ﷺ رسول الله حقًا.

وقد اكْتُشِفَ هذا الإعجاز العلمي: في الأرض وفي السماء، وفي البحار والقفار، وفي الإنسان والحيوان، والنبات، والأشجار، والحشرات، وغير ذلك، ولا يتسع المقام لذكر الأمثلة العديدة على ذلك[١].

وينقسم الإعجاز العلمي إلى ثلاثة أقسام: الإعجاز الكوني، والإعجاز الطبي، والإعجاز العددي.

جـ ـ كون القرآن والسنة محفوظين من الزيادة والنقصان، محروسين عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان. ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤] ففي الآية الكريمة إخبار من الله تعالى: بأن السنة مُبَيِّنَة للقرآن، فيلزم من هذا أن يكون قد تكفل أيضًا بحفظ السُّنة؛ لأن حفظ المبيَّن يستلزم حفظ البيان للترابط بينهما[٢].



(١) انظر أمثلة كثيرة في الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة http: //www.nooran.org.

(٢) ولمزيد من الأدلة حول قضية حفظ الله تعالى للقرآن والسنة، انظر: كتابي "شبهات حول السنة النبوية" ص ٦٩ – ٨٥. وانظر: ص ٣٠ – ٣٥ من هذا البحث.

المطلب الرابع

أهمية الحديث عن الإعجاز في القرآن والسُّنة، وأثره تبليغًا وتثبيتًا

١ - لَمَّا كان رسول الله ﷺ هو الرسول الخاتم، كان لا بد أن تكون معجزته خالدة تَحُجَّ أهلَ كلِّ عصر ومصر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وقد أشار ابن حجر إلى هذه المُسَلَّمة في شرحه لحديث حتمية المعجزة لكل نبي[١]: «مَا مِنْ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ الله إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

قال رحمه الله: «ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة، وخرقه للعادة في أسلوبه وفى بلاغته، وإخباره بالمغيبات، فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون، يدل على صحة دعواه، فَعَمَّ نفعه مَنْ حضر ومن غاب، ومَنْ وُجِد ومن سيوجد».

ولَمَّا ارتفعت أسهم العلم التجريبي والمكتشفات العلمية في هذا الزمان، وأصبحت مصدر زهو العلماء وافتخارهم واعتزازهم، أظهر الله وجهًا

(١) فتح الباري (٩ / ٧) طبعة دار المعرفة.
(٢) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، ورواه مسلم في الإيمان. وقد سبق تخريجه ص: ٤٨ هامش (١).

من أوجه إعجاز كتابه الكريم وسُنة نبيه ﷺ على أيدي العلماء - من المسلمين ومن غير المسلمين - يتناسب مع ما يعنيهم ويبهرهم، ألا وهو الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

وانطلاقًا من ذلك؛ فإن كلَّ جيل سيجد في كتاب الله تعالى وسُنة نبيه ﷺ من البينات ما يقيم عليه الحجة ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢][١].

٢- أهم ثمرات بيان وجوه الإعجاز العلمي القرآني والنبوي[٢]:

أ- الأثر البالغ الذي تتركه في قلوب المسلمين، والذي يُتَرْجَمُ بزيادة اليقين عندهم لدى رؤيتهم هذه الحقائق الباهرة؛ لأنها وَرَدَتْ على لسان النبي الأمي محمد ﷺ، وهكذا فإنها خير مُحَرِّض للتمسك بالقرآن والسُّنة والاهتداء بهما.

(١) انظر: مقال للدكتور عبد الله بن محفوظ بن بيه، بعنوان: من ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة الكرمة: .http: //www.nooran.org /O /10 /10-7.htm

(٢) الإعجاز في القرآن الكريم. إعداد الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار هوساي على موقع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن:
http: //ocw.kfupm.edu.sa /user /IAS41902 /scientific%20 signsin%20quran.htm. بتصرف وزيادة.

ب ـ الرد العلمي الدامغ على الأفكار التشكيكية بصحة الرسالة المحمدية؛ حيث إنَّ عَرْضَ تلك الحقائق التي أخبر عنها نبي أمي في زمن لا يوجد فيه تقدم علمي، كما أنه لا توجد في المجتمع وكذا البيئة التي عاش فيها أي أثرة من علم في تلك الميادين الكونية؛ ولذلك فهذا الإعجاز يعتبر مجالًا خصبًا لإقناع المنصفين من العلماء بربانية القرآن الكريم وصِدقِ رسول الله ﷺ.

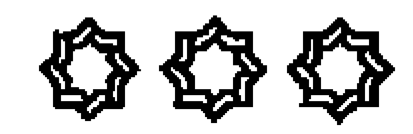
ت ـ الرد العملي المقترن بالبرهان الساطع على أن الدين الإسلامي هو دين العلم حقًا؛ حيث لم يستطع أحد إلى الآن أن يثبت وجود تعارضِ أَيٍّ دلالة كونية واردة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية مع ما استقر من الحقائق العلمية اليوم، بل على العكس كم من القضايا العلمية التي صححها القرآن والسُّنة لعلماء العلم التجريبي.

ث ـ إن الإعجاز العلمي يعتبر خير مُحَرِّض لِهِمَم المسلمين كي يساهموا بفعالية في خدمة العلم التجريبي ـ بحثًا واكتشافًا ـ مسترشدين بالإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم والسُّنة النبوية.

ج ـ كما أن الإعجاز العلمي يعتبر من أنجع الوسائل للدعوة إلى الله في الأوساط العلمية، والذي يتتبع أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام ـ ممن كانوا نصارى أو بوذيين أو يهود ـ يجد بحق أن فريقًا منهم قد ابتدأ

سَيْرَهُ إلى الحق؛ والذي انتهى به لإعلان شهادة الحق؛ من خلال معاينة لطائف الإعجاز العلمي في القرآن والسُّنة.

ح - يساعد الإعجاز بأنواعه كثيرًا من الشاردين عن الإسلام والغافلين عن عظمته في الرجوع إلى دينهم والاعتزاز بالانتساب إليه، حيث يرون العلماء من غير المسلمين يُسْلِمون؛ بسبب اطِّلاعهم على عظمة القرآن والسُّنة وتَوَافُقِهِمَا مع الحقائق الكونية في الآفاق والأنفس، ومع الأخبار الغيبية بأنواعها.



المبحث الثالث

الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية

المبحث الثالث

الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية

المطلب الأول

معنى الغَيْب

الغيب لغة: مصدر غاب يغيب، إذا توارى، ومنه قوله تعالى: ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ [البقرة: ٣] أَي يؤمنون بما غابَ عنهم مما أَخبرهم به النبيُّ ﷺ من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار. وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به فهو غَيْبٌ.

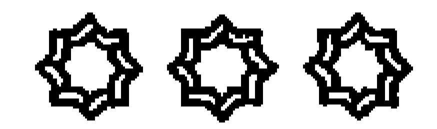
وكثيرًا ما يستعمل بمعنى الغائب، والغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب: غيب، كما قيل للعادل: عدل، وللزائر: زَوْر، للمبالغة بجعله كأنه هو. وجَمْعُهُ: غُيُوب.

ومعناه: ما لا تدركه الحواس، ولا يعلم ببداهة العقل.

والغيب ما كان مغيبًا عن العيون.

ونستطيع أن نعرف الغيب شرعًا فنقول: إنه هو كل ما غاب عن العقول والأنظار من الأمور الحاضرة والماضية والمستقبلة، وقد استأثر الله ﷻ بعلمه واختص نفسه سبحانه بذلك[١].

والمقصود بالإعجاز الغيبي: كل ما لا يُدرك بالحواس مما أخبر الرسول ﷺ صريحًا بأنه واقع أو سيقع، فكان أن وقع كما أخبر به.



(١) لسان العرب (١/ ٦٥٤)، تفسير البغوي (١/ ٦٢)، تفسير الألوسي (١/ ٨٨)، أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة - نخبة من العلماء - (٨٩)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية ص(٦٨)، الوسيط في تفسير القرآن الكريم للأستاذ الدكتور سيد طنطاوي (١/ ٥٣).

المطلب الثاني

أنواع الغَيْب

أنواع الغيب: ثلاثة أنواع:

أولاً: غيب الماضي:

ومنه: (الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نزوله، من أُميٍّ ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بما كان من قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتاب عنه، وتحدوه به من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما السلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم - وهو أميٌّ من أمة أميَّة، ليس لها بذلك علم - بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه.

قال القاضي ابن الطيب[1]: «ونحن نعلم ضرورة أن هذا مما لا سبيل إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفًا أنه لم يكن ملابسًا لأهل

---

(١) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، أَوْحَدُ المُتَكَلِّمِيْن، مُقَدَّم الأُصُوْلِيين، القَاضِي، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ الطَّيِّب ابنِ مُحَمَّدِ بنِ جَعْفَر بن قَاسِم البَصْرِيُّ، ثُمَّ البَغْدَادِيُّ، ابْنُ البَاقِلاَّنِيّ، صَاحِبُ التَّصَانِيْفِ مَاتَ فِي ذِي القَعْدَةِ، سَنَةَ ثَلاَثٍ وَأَرْبَع مائَة. (ينظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٠).

الآثار، وحملة الأخبار، ولا مترددًا إلى المتعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقع إليه كتاب فيأخذ منه، عُلِمَ أنه لا يصل إلى علم ذلك إلا بتأييد من جهة الوحي»)[1].

ثانيًا: غيب الحاضر:

هو إخبار السُّنة عن الموجودات الحاضرة والتي لا يراها الإنسان، كقضايا الاعتقاد، وكذلك الحوادث اليومية التي كانت تحدث في عصر النبي ﷺ وكان يُخبر عنها ﷺ قبل أن تقع، ثم تقع وفق ما ذكر؛ كالكشف عن دسائس اليهود ومؤامرات المنافقين وأخطاء بعض المسلمين...

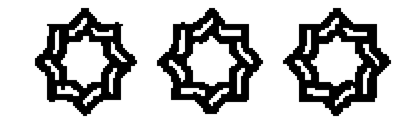
ثالثًا: غيب المستقبل:

هي الأخبار التي أخبرت السُّنة بأنها ستحدث في المستقبل القريب والبعيد، وقد وقع بعضها في عصر النبي ﷺ وبعضها بعد وفاته وبعضها لَّما يقع في الدنيا، وبعضها لن يقع في الدنيا لكنه سيقع في الآخرة، كأحداث يوم القيامة.

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٧٤). وينظر قول القاضي في كتابه: إعجاز القرآن للباقلاني (٣٤) دار المعارف - القاهرة.

«فهذه كلها أخبار عن الغيوب التي لا يقف عليها إلا رب العالمين، أو مَنْ أوقفه عليها رب العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رسوله لتكون دلالة على صدقه»[١].



(١) تفسير القرطبي (١ / ٧٥).

المطلب الثالث

قواعد عامة في الغَيْب

أ- أنباء الماضي لا سبيل إليها إلا بالتلقي والدراسة:

ففي القرآن والسُّنة جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيها للذكاء والاستنباط، ولا سبيل لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم، مثل ما قَصَّه علينا القرآن والسُّنة من أنباء ما قد سبق، وما فصَّله من تلك الأنباء على الوجه الصحيح كما وقع. والرسول ﷺ لم يعاصر تلك الأمم الخالية، ولم يقرأ في كتاب.

وصدق الله ﷻ إذ يقول بشأن قصة مريم: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤].

وبشأن قصة يوسف: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

وبشأن قصة موسى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [القصص: ٤٤]، وقال تعالى:

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، وقال: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [هود: ٤٩].

إنه ﷺ تَلَقَّاها ولكن على أستاذه الرُّوح الأمين، واكتتبها ولكن من صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بأيدي سفرة كرام بررة، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ١٠٢].

ب_ الحقائق الدينية الغيبية لا سبيل للعقل إليها:

إن القرآن والسنة يشرحان لنا حدود الإيمان مُفَصَّلة، ويصفان لنا بدء الخلق ونهايته، والجنة وأنواع نعيمها، والنار وأنواع عذابها، كأنها رأي عين، حتى إنهما ليحصيان عدة الأبواب، وعدة الملائكة الموكلة بتلك الأبواب.

إن ذلك ما لا يوحي به العقل البتة، بل هو إما باطل: فيكون من وحي الخيال والتخمين؛ وإما حق: فلا ينال إلا بالتعليم والتلقين، لكنه الحق الذي شهدت به الكتب واستيقنه أهلها.

ث ـ أنباء المستقبل لا سبيل فيها لليقين إلا بالوحي الصادق:

لا يُثْبِتَ الحُكْمَ بَتًّا ويُحَدِّدَهُ تحديدًا ـ حتى فيما لا تَدُلُّ عليه مقدمة من المقدمات العلمية، ولا تلوح منه أمارة من الأمارات الظنية العادية ـ إلا أحد رجلين:

* إما رجل **مجازف** لا يبالي أن يقول الناس فيه صَدَقَ أو كَذَبَ، وذلك هو دأب جهلاء المتنبئين من العرافين والمنجمين.

* وإما رجل **اتخذ عند الله عهدًا** فلن يخلف الله عهده، وتلك هي سُنَّة الأنبياء والمرسلين.

ولا ثالث لهما إلا رجلًا رَوَى أخبارَه عن واحد منهما.

فأي الرجلين تراه في صاحب هذا القرآن حينما يجيء على لسانه الخبرُ الجازمُ بما سيقع بعد عام، وما سيقع في أعوام، وما سيكون أبد الدهر، وما لن يكون أبد الدهر؟!

ذلك وهو لم يتعاط عِلْمَ المعرفة والتنجيم، ولا كانت أخلاقه كأخلاقهم تُمَثِّلُ الدعوى والتقحم، ولا كانت أخباره كأخبارهم خليطًا من الصدق والكذب، والصواب والخطأ، بل لا يستطيع أحد أن ينقض حرفًا واحدًا مما ينبئ به، وصدق الله إذ يقول:

﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١-٤٢])[١].

ث ـ لا يعني الخبر عن النبي ﷺ بحصول أمر أنه جائز، بل قد يكون جائزًا، أو العكس، وذلك بحسب الأدلة الشرعية، فهناك أحاديث أخبر بها النبي ﷺ تحدث في آخر الزمان من انتشار الخمر، والزنا، وكثرة القتل، فهل هذا يعني أن شرب الخمر والزنا والقتل جائز؟

الجواب: كلا، بل إنها تبقى على أصلها من كبائر الذنوب.

قال النووي رحمه الله[٢]: «لَيْسَ كُلّ مَا أَخْبَرَ ﷺ بِكَوْنِهِ مِنْ عَلامَات السَّاعَة يَكُون مُحَرَّمًا أَوْ مَذْمُومًا، فَإِنَّ تَطَاوُلَ الرِّعَاءِ فِي الْبُنْيَان، وَفُشُوَّ الْمَالِ، وَكَوْنَ خَمْسِينَ امْرَأَةً لَهُنَّ قَيِّمٌ وَاحِدٌ؛ لَيْسَ بِحَرَام بِلا شَكٍّ، وَإِنَّمَا هَذِهِ عَلامَات، وَالْعَلامَة لا يُشْتَرَط فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ بَلْ تَكُون بِالْخَيْرِ، وَالشَّرّ، وَالْمُبَاح، وَالْمُحَرَّم وَالْوَاجِب، وَغَيْره، والله أَعْلَمُ».

۞ ۞ ۞

(١) انظر: النبأ العظيم ٣٩-٤٤. للدكتور عبد الله دراز.

(٢) شرح النووي على مسلم (١/ ١٥٩) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

المطلب الرابع

شبهة والجواب عليها

قد يقول قائل: إن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى كما جاء في محكم التنزيل: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وفي صحيح مسلم[١] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى الله الْفِرْيَةَ، والله يَقُولُ: ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾».

فكيف تزعمون أن النبي ﷺ يعلم بعض الغيوب؟

والجواب الذي يزيل هذه الشبهة:

أن «علم الغيب يختص به واجب الوجود ـ سبحانه ـ لأنه هو الذي يعلم المغيبات بذاته، وأما العلم بشيء من المغيبات الحاصل من تعليم الله فلا يقال لصاحبه إنه يعلم الغيب»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان - باب مَعْنَى قَوْلِ الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴾ (١/ ١١٠رقم ٤٥٧).

(٢) الوسيط في تفسير القرآن الكريم (١/ ١٢٠).

فالنبي ﷺ لم يقل: إنني أعلم الغيب. وإنما قال: ينبئني الله، يخبرني الله. كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [التحريم: ٣].

إن هذه الآية تخبر عن أمر غيبي أخبر الله تعالى به رسوله ﷺ، مما يبين وجهًا من إعجاز القرآن والسُّنة، وأن الله يخبر رسوله ببعض الغيب إكرامًا له ﷺ وتأييدًا.

فالله تعالى هو الذي أعلمه، وعليه فلا اعتراض، ولا توقف.

وآية ثانية: يقول الله تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]

وهذه الآية واضحة في أن الله تبارك وتعالى يطلع من شاء من رسله على بعض الأمور الغيبية.

وعليه فلا غرابة في إخبار رسول الله ﷺ بشيء من الغيبيات، فإن هذا مما أطلعه الله عليه، وأعلمه ﷻ به.

بل إن هذه الآية الثانية من هاتين الآيتين تفيد أن هذه الغيبيات التي علمها الله تعالى نبيه ﷺ إنما هي محفوظة بحفظ الله، وهذا دليل

قوي على حفظ الله السُّنة النبوية، وما فيها من أمور الغيب، فلا تستطيع شياطين الإنس والجن أن تتعرض لها.

وآية ثالثة: وهي قوله تعالى في آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. أفادت هذه الآية أن علم الله تعالى محيط بكل شيء: بجنسه، وكيفيته، وأجزائه، والغرض من كل جزء فيه، وماذا قَدَّرَ له، وإلى أي أجل سيكون، وهو سبحانه يُعَلِّم من شاء من خلقه شيئًا من ذلك، فليس في وسع البشر عِلْمُ كل ذلك إلا بالقدر الذي أراد سبحانه أن يعلمهم إياه.

وهكذا تفيد الآيات السابقة أن الله تبارك وتعالى يطلع رسوله ﷺ على ما شاء سبحانه من علوم وغيبيات، هي من فضل الله تعالى على رسوله، معجزة له ﷺ، ودلالة صادقة على نبوته ﷺ.

وقد اشتهر وانتشر أمره ﷺ بإطلاع الله له على المغيبات:

قال عُمَرُ رضي الله عنه: **قَامَ فِينَا النَّبِيُّ ﷺ مَقَامًا، فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ**[1].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم: كِتَاب بَدْءِ الْخَلْقِ بَاب مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ (١٠/ ٤٦٤ عقب رقم ٢٩٥٣). قال الحافظ في "الفتح" (٦/ ٢٩١): وَضَعَ المَاضِي مَوْضِع المُضَارِع مُبَالَغَة للتَّحَقُّق المُسْتَفَاد مِنْ خَبَر الصَّادِق، وَكَانَ السِّيَاق يَقْتَضِي أَنْ يَقُولَ: حَتَّى يَدْخُل، وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ أَخْبَرَ فِي=

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ[1]، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[2].

وروى أبو داود[3] عن حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: والله مَا أَدْرِي أَنَسِيَ

= الْمَجْلس الْوَاحِد بِجَمِيعِ أَحْوَال الْمَخْلُوقَات مُنْذُ ابْتُدِئَتْ إِلَى أَنْ تَفْنَى إِلَى أَنْ تُبْعَث، فَشَمِلَ ذَلِكَ الْإِخْبَار عَنْ الْمَبْدَأ وَالْمَعَاش وَالْمَعَاد، وفِي تَيْسِير إِيرَاد ذَلِكَ كُلّه فِي مَجْلس وَاحِد مِنْ خَوَارِق الْعَادَة أَمْر عَظِيم، وَيُقَرِّبُ ذَلِكَ مَعَ كَوْن مُعْجِزَاته لَا مِرْيَة فِي كَثْرَتهَا أَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ جَوَامِع الْكَلِم.اهـ.

(١) أَيْ عَلِمُوا وُقُوع ذَلِكَ الْمَقَام وَمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ الْكَلَام. (فتح الباري:١١/ ٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري: كِتَاب الْقَدَر بَاب ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ (٦/ ٢٤٣٥ رقم ٦٢٣٠) بألفاظ مقاربة، ومسلم واللفظ له في كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ (٨/ ١٧٢ رقم ٧٤٤٥).

(٣) إسناده ضعيف: أخرجه أبو داود في كتاب الفتن، باب ذِكْر الْفِتَنِ وَدَلَائِلهَا (٤/ ١٥١ رقم ٤٢٤٥)، قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِس، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، أَخْبَرَنَا ابْنُ فَرُّوخَ، أَخْبَرَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، أَخْبَرَنِي ابْنٌ لِقَبِيصَةَ بْنِ ذُؤَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ... الحديث.

وحسَّن هذا الحديث الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بأن سكت عن بيانه في هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة، انظر هداية الرواة (٥/ ٩٢ رقم ٥٣٢٠)، وقد قال رحمه الله تعالى في مقدمته على الهداية: ((فالتزمت في هذا التخريج أن أبين حال كل حديث من الفصل الثاني؛ من كونه صحيحًا، أو ضعيفًا، أو منكرًا، أو موضوعًا، وما سكتُّ عن بيانه فهو حسن)) اهـ، انظر مقدمة الحافظ ابن حجر لكتابه هداية الرواة (١/ ٥٨، ط دار ابن القيم بالدمام، ودار ابن عفان بمصر). =

= وحسَّنه محقق جامع الأصول من حديث الرسول ﷺ (١٠/ ٢٩ رقم ٧٤٨٣)!

قلت: إسناده ضعيف؛ في إسناده: عبد الله بن فروخ الخراساني أو اليماني، صدوق يغلط. وقال عنه البخاري:يعرف وينكر. (ينظر: تهذيب التهذيب٥/ ٣١١، والتقريب: ٣١٧، والكامل لابن عدي ٤/ ١٩٩). وفيه أسامة بن زيد الليثي، صدوق يهم. (التقريب: ٩٨).

وابن قبيصة إن كان هو إسحق فهو صدوق (التقريب: ١٠٣)، وإلا فإنه مجهول لا يعرف، وهو الراجح فقد قال الحافظ في (التقريب: ٦٩٨): ابن قبيصة بن ذؤيب، قيل: هو إسحاق) هكذا بصيغة التمريض. والحديث ضعفه الألباني رحمه الله.

وقال محمد صديق حسن خان في «القطة العجلان مما تمس إلى معرفته حاجة الإنسان» (ص:٦٣ - الناشر دار الكتب العلمية ١٤٠٥ هـ-١٩٨٥م): (سكت عليه أبو داود، وما سكت عليه فهو صالح، وهذا الحديث إذا كان صحيحًا فهو مجمل، ويفتقر في بيان إجماله وتعيين مبهماته إلى آثار أخرى يجود أسانيدها، وقد وقع إسناد هذا الحديث في غير كتاب السنن على غير هذا الوجه، فوقع في الصحيحين من حديث حذيفة أيضًا قال: قام رسول الله ﷺ فينا خطيبًا، فما ترك شيئًا يكون في مقامه ذاك إلى قيام الساعة إلا حدث عنه، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابه هؤلاء... وهذه الزيادة التي تفرد بها أبو داود في هذا الطريق شاذة منكرة! مع أن الأئمة اختلفوا في رجاله؛ فتضعف هذه الزيادة التي وقعت لأبي داود في هذا الحديث من هذه الجهات مع شذوذها).

وله طريق أخرى:عن قتادة قال: قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليَخرجن من أمتي ثلاثمائة رجل، معهم ثلاثمائة راية، يُعرفون وتُعرف قبائلهم، يبتغون وجه الله، يقتلون على الضلالة).

إسناده ضعيف: أخرجه نعيم بن حماد (١/ ٣٢، رقم ١٧) قال:حدثنا عبد القدوس، عن عفير بن معدان، قال: حدثنا قتادة قال: قال حذيفة... الحديث. وعفير: ضعيف. وقتادة مدلس: ولم يصرح بالتحديث، وكذلك لم يسمع من قتادة كما أفاده أحمد بن حنبل في (جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ص:٢٥٤).

قال السيوطي كما في «كنز العمال» (١١/ ١٨٧ رقم ٣١١٥٤): (وفيه عبد القدوس، متروك)!!، وليس كذلك بل هو عبد القدوس بن الحجاج أبو المغيرة، وهو ثقة (ينظر: تهذيب الكمال ١٨ / ٢٣٧). =

أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْا[١]، والله مَا تَرَكَ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ قَائِد فِتْنَة إِلَى أَنْ تَنْقَضِيَ الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلَاثَ مِائَةٍ فَصَاعِدًا، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِه، وَاسْمِ أَبِيهِ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ.

وقال عمرو بن أَخْطَب الأنصاري ﷺ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ الله ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[٢].

= وطريق ثالثة عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة، كل ذلك مما علمنيه رسول الله ﷺ.

قالوا: بأعيانها؟ قال: أو أشباهها، يعرفها الفقهاء أو قال: العلماء؛ إنكم كنتم تسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وأسأله عن الشر؛ وتسألونه عما كان، وأسأله عما يكون.

إسناده منكر: أخرجه نعيم بن حماد (١/ ٣١، رقم ١٦) قال: حدثنا عبد الخالق بن زيد الدمشقي، عن أبيه، عن مكحول، عن حذيفة بن اليمان... الحديث. فيه عبد الخالق بن زيد، قال عنه البخاري وأبو حاتم: منكر الحديث. (ينظر: لسان الميزان ٣/ ٤٠٠). ومكحول لم يسمع من حذيفة ﷺ كما في (جامع التحصيل في أحكام المراسيل للعلائي ص:٢٨٥).

(١) أَيْ أَظْهَرُوا النِّسْيَان لِمَصْلَحَةٍ مِنْ غَيْر نِسْيَان. وَمَعْنَى الْحَدِيث أَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ لَنَا الْقَائِدَيْن لِلْفِتْنَة الَّذِينَ يَبْلُغ أَتْبَاع كُلّ مِنْهُمْ ثَلَاثَمِائَة فَصَاعِدًا بِاسْمِهِ وَنَسَبه وَقَبِيلَته، وَلَمْ يَذْكُر الَّذِينَ لَا يَبْلُغ أَتْبَاعهمْ ثَلَاثمِائَة. وَفِيهِ كَمَال عِلْم النَّبِيّ ﷺ، وَكَمَال شَفَقَته عَلَى أُمَّته. وَفِيهِ عَلَمٌ لِلنُّبُوَّة وَإِعْجَاز. اهـ. (عون المعبود (١١/ ٢٠٧).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب إِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَكُونُ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ (٨/ ١٧٣ رقم ٧٤٤٩).

فالله تعالى قد عَلَّم النبي ﷺ من الغيوب ما لم يكن يعلم، كما علم آدم الأسماء، وذلك ما نطقت به الآيات الكريمات: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣١ـ ٣٣].

فقد أفادت (هذه الآيات، أن الله ـ تعالى ـ قد أظهر فيها فضل آدم عليه السلام من جهة أنَّ عِلْمَه مستمد من تعليم الله له، فإن إمداد الله له بالعلم يدل على أنه محاط منه برعاية ضافية.

ثم إن العلم الذي يحصل عن طريق النظر والفكر قد يعتريه الخلل، ويحوم حوله الخطأ، فيقع صاحبه في الإفساد من حيث إنه يريد الإصلاح، بخلاف العلم الذي يتلقاه الإنسان من تعليم الله، فإنه علم مطابق للواقع قطعًا، ولا يخشى من صاحبه أن يحيد عن سبيل الإصلاح، وصاحب هذا العلم هو الذي يصلح للخلافة

في الأرض، ومن هنا كانت السياسة الشرعية أرشد من كل سياسة، والأحكام النازلة من السماء أعدل من القوانين الناشئة في الأرض)[1].

❁❁❁

(١) الوسيط للأستاذ الدكتور سيد طنطاوي (١ / ١٢٠).

المطلب الخامس

نماذج من النُّبُوءات الغَيْبِيَةِ في السُّنة النبوية

الأحاديث في هذا الباب بَحْرٌ لا يدرك قَعْرُه، ولا يُنْزَف غَمْرُهُ. وهذه المعجزة من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل إلينا خبرها على التواتر، لكثرة رواتها، واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب:

أ- فيما يتعلق بالماضي.

ب - فيما يتعلق بحاضر النبي ﷺ.

ت - فيما يتعلق بالمستقبل.

أ- الإعجاز الغيبي فيما يتعلق بالماضي:

١- ومن ذلك ما قصَّه النبي ﷺ من بعض أخبار الأنبياء، مثل ما رواه البخاري[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي

(١) في كتاب التفسير - بَاب قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (٣/ ١٢٤٠ رقم ٣٢١١)، وفي كتاب الغسل - بَاب مَنْ اغْتَسَلَ عُرْيَانًا وَحْدَهُ فِي الْخَلْوَةِ وَمَنْ تَسَتَّرَ فَالتَّسَتُّرُ أَفْضَلُ (١/ ١٠٧ رقم ٢٧٥)، وفي كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ (٦/ ٢٧٢٣ رقم ٧٠٥٥).

ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: يَا أَيُّوبُ! أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ))[1].

قال الحافظ في «الفتح»[2]: لَمْ يَثْبُتْ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ فِي قِصَّةِ أَيُّوبَ شَيْءٌ، فَاكْتَفَى بِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي عَلَى شَرْطِهِ. وَأَصَحُّ مَا وَرَدَ فِي قِصَّتِهِ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ[3] وَابْنُ جُرَيْجٍ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ[4] عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّ

(١) قال البدر العيني في عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٥/ ٢٩٢): (مما يستنبط منه، ما قاله ابن بطال: جواز الاغتسال عريانًا؛ لأن الله تعالى عاتب أيوب عليه السلام على جمع الجراد، ولم يعاتبه على الاغتسال عريانًا. وفيه: جواز الحلف بصفة من صفات الله تعالى.
وقال الداودي: فيه فضل الكفاف على الفقر؛ لأن أيوب عليه السلام لم يكن يأخذ ذلك مفاخرًا ولا مكاثرًا، وإنما أخذه ليستعين به فيما لا بد له منه، ولم يكن الرب جل وعلا ليعطيه ما ينقص به حظه.
وفيه: الحرص على الحلال. وفيه: فضل الغنى لأنه سماه بركة).
وقوله: «رجل جراد» أي جماعة جراد. (فتح الباري:٦/ ٤٢٠).
وقد استدل البخاري على جواز التعري في الخلوة في الغسل بقصة أيوب عليه السلام؛ ووجه الدلالة منه على ما قال ابن بطال: أنه ممن أمرنا بالاقتداء به، وهذا إنما يأتي على رأي من يقول: شرع من قبلنا شرع لنا. والذي يظهر أن وجه الدلالة منه: أن النبي ﷺ قص القصة ولم يتعقب شيئًا منها؛ فدل على موافقتها لشرعنا، وإلا فلو كان فيها شيء غير موافق لَبَيَّنَه. (فتح الباري:١/ ٣٨٦) بتصرف).
(٢) فتح الباري (٦ / ٤٢١). بتصرف.
(٣) تفسير ابن أبي حاتم عند قَوْلُهُ تَعَالَى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ﴾.
(٤) وهذا حديث إسناده صحيح: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» كتاب الجنائز - باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض (٧/ ١٥٧ رقم ٢٨٩٨)، من طريق حرملة بن يحيى عن ابن وهب عن نافع بن يزيد عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن أنس، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: «إسناده على شرط مسلم».
والحاكم في «المستدرك» في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين - باب ذكر أيوب بن أموص نبي الله المبتلى ﷺ (٢/ ٦٣٥ رقم ٤١١٥)، من طريق أحمد بن مهران عن سعيد بن الحكم ابن أبي مريم عن نافع بن يزيد به، وقال: «حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
=

= والبزار في «البحر الزخار» (١٣/ ٢٨ رقم ٦٣٣٣) قال: حَدَّثنا محمد بن مسكين، وعمر بن الخطاب، ومُحمد بن سهل بن عسكر، قالوا: حَدَّثنا سعيد بن أبي مريم، حَدَّثنا نافع بن يزيد، به. وقال: وهذا الحديث لا نعلم رواه عَن الزُّهْرِيّ، عَن أَنَس إلاَّ عقيل، ولا رواه عن عقيل إلَّا نافع بن يزيد ورواه عن نافع غير واحد.

والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢١١ ط مؤسسة الرسالة) من طريق ابن وهب، قال: أخبرني نافع بن يزيد، به.

وأبو يعلى في «مسنده» (٦/ ٢٩٩، رقم ٣٦١٧)، قال: حدثنا حميد بن الربيع الخزاز، حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري به، وقال المحقق حسين سليم أسد: «رجاله رجال الصحيح خلا حميد بن الربيع الخزاز».

قلت: حميد بن الربيع ترجمه الحافظ في «لسان الميزان» (٢/ ٣٦٣) ونقل قول ابن عدي (الكامل: ٢/ ٢٨٢): ولحميد بن الربيع حديث كثير، بعضه سرقه من الثقات، [المراد به: أن يأخذ الراوي حديث غيره مما لم يسمعه، فيدعي سماعه] وبعضه من الموقوفات رفعه، وبعضه زاد في أسانيده فجعل بدل ضعيف ثقة، وهو أكثر من ذلك، فاستغنيت بمقدار ما ذكرته من مناكيره وبواطيله لكي يستدرك به على كثير مما رواه، وهو ضعيف جدًا في كل ما يرويه. وقال البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٦١): حُمَيْدُ بْنُ الرَّبِيعِ الْخَزَّازُ ضَعِيفٌ جِدًّا. وقال الذهبي في تنقيح التحقيق (١/ ٩٧ ط دار الوطن بالرياض): حميد بن الربيع وَاهٍ.

وقد ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الرابعة من طبقات المدلسين (ترجمة رقم ١١٩، ص٥٣) والمرتبة الرابعة قال عنها الحافظ: «من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل، كبقية بن الوليد». اهـ. (طبقات المدلسين ص٢١، ط دار البيان العربي بتحقيق محمد بن علي الأزهري).

وقد صرح حميد بالسماع في هذا الحديث عند أبي يعلى، فقال: حدثنا سعيد بن أبي مريم المصري، وقد تابعه عند البزار محمد بن مسكين (ثقة) وعمر بن الخطاب (هو السجستاني: صدوق)، ومُحمد بن سهل بن عسكر (ثقة)، ويحيى بن أيوب العلاف (صدوق) عند أبي نعيم. ولكن هذه المتابعات لا تنفع حميد بن الربيع؛ لوهائه وضعف الشديد، فالحديث من طريقه إسناده ضعيف، وقد صح الحديث من طرق أخرى كما هو مبين في هذا التخريج، والحمد لله رب العالمين.

وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٧٤-٣٧٥) من طريق يحيى بن أيوب العلاف عن سعيد بن أبي مريم: ثنا نافع بن يزيد: أخبرني عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم، تفرد به نافع».=

= قلت: «وهو ثقة كما قال، أخرج له مسلم، وبقية رجاله رجال الشيخين؛ فالحديث صحيح».
والضياء المقدسي في «المختارة» (٣ / ١٢٩ رقم ٢٦١٦). وفي كتاب «الأمراض والكفارات والطب والرُّقَيَّات» (ص: ٣٥ – ٣٧) من طريق أبي نعيم السابقة. وقال في «الطب»: هذا حديث غريب مليح، ورجال إسناده ثقات.
و(٣/ ١٣٠ رقم ٢٦١٧) من طريق ابن وهب، أخبرني نافع بن يزيد به.
وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٠/ ٧٣) من طريق أبي يعلى.
وفي (١٠ / ٧١) من طريق ابن وهب أخبرني نافع بن يزيد به.
وقد صحح الحديثَ الحافظ البوصيري رحمه الله تعالى في (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة ٧/ ١٤٢ رقم ٦٥٢٧، بتحقيق أبي تميم ياسر بن إبراهيم، وقدم له فضيلة الدكتور أحمد معبد عبد الكريم) فقال بعد ذكر إسناد أبي يعلى والبزار: «قلت: إسناده صحيح». ثم نقل تصحيح ابن حبان والحاكم له.
وصحح الحديث أيضًا الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٨١، رقم ١٣٨٠٠، ط دار الفكر- بيروت)، فقال: «رواه أبو يعلى والبزار ورجال البزار رجال الصحيح».
وصححه أيضًا الشيخ الألباني في «السلسلة الصحيحة: ١/ ٥٤، رقم ١٧، ط مكتبة المعارف بالرياض» فقال: «رواه أبو يعلى في مسنده (١/ ١٧٦-١٧٧)، والبزار (٥٣٥٧-كشف)، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٧٤-٣٧٥) من ثلاث طرق عن سعيد بن أبي مريم: ثنا نافع بن يزيد: أخبرني عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك مرفوعًا، وقال: «غريب من حديث الزهري، لم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم، تفرد به نافع».
قلت: «وهو ثقة كما قال، أخرج له مسلم، وبقية رجاله رجال الشيخين؛ فالحديث صحيح».
وقد صححه الضياء المقدسي في المختارة (٢٠٢/ ٢-٢٢١/ ٢) من هذا الوجه، ورواه ابن حبان في صحيحه (٢٠٩١)، ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٣/ ٢٥١-٢٥٢) من طريقين عن ابن وهيب -تصحيف والصحيح ابن وهب-: أنبأنا نافع بن يزيد».
وقال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٢٥٧ ط دار إحياء التراث العربي): (هذا غريب رفعه جدًا، والأشبه أن يكون موقوفًا).
قال محقق كتاب «الأمراض والكفارات والطب والرُّقَيَّات» معلقًا على كلام الحافظ ابن كثير (ص٣٧): (قلت: كذا! ورجال الإسناد أئمة ثقات أثبات. فأما نافع بن يزيد المصري فوثقه ابن يونس وهو أعلم الناس بالمصريين، وقال: «كان ثبتًا في الحديث لا يختلف فيه». وقال أحمد بن صالح المصري: «كان من ثقات الناس»، ووثقه ابن حبان والعجلي والحاكم وزاد: «مأمون».=

أَيُّوبَ نبي الله ﷺ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثمان عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ إِلَّا رَجُلَيْنِ كانا مِنْ أخص إِخْوَانه، كَانَا يَغْدُوَانِ إِلَيْهِ وَيَرُوحَانِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لصاحبه: تعلم والله لَقَدْ أَذْنَبَ أَيُّوبُ ذَنْبًا ما أذنبه أحد من العالمين، قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثمان عشرة سَنَةً لم يرحمه الله، فيكشف ما به.

فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق.

=وقال أبو حاتم والنسائي «لا بأس به».

وأما عُقيل – بضم العين – ابن خالد: فهو ثقة حجة كما قال ابن معين، وكان من أثبتالناس في الزهري.

وقول أبي نعيم: إنه «غريب» لا ينافي أنه «صحيح»، فالغرابة تجامع الصحة والحُسن كما هو معلوم.

وأما ترجيح الحافظ ابن كثير – رحمه الله – وَقْفَه: فلا يبدو لي بعد صحة سند المرفوع؛ كان يمكن قبول هذا الكلام إذا وُجد مخالفٌ أوثق وأرجح رواه موقوفًا، ولم أقف على شيء من ذلك. فالله أعلم.

نعم! أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٧٩ – رواية نعيم) قال: أنا يونس بن يزيد، عن عقيل عن الزهري أن رسول الله ﷺ ذكر يومًا أيوب النبيَّ، وما أصابه من البلاء... وساقه بأطول مما هنا. فقد اختلف على عقيل في إسناده؛ فرواه عنه يونس مرسلًا.

والجواب: أن المتصل أقوى؛ لأن نعيم بن حماد راويه عن ابن المبارك في حفظه مقال معروف، فلربما كان التقصير منه، والله أعلم).

قلت: وهذا تحقيق جيد قوي بإذن الله تعالى.

قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده فلما كان ذات يوم، أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ [ص: ٤٢] فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، والله على ذلك ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذ كان صحيحًا؟

قال: فإني أنا هو، وَكَانَ لَهُ أَنْدَرَانِ[1]: أندر القمح، وأندر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت فيه الذهب حتى فاضت، وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورِق حتى فاضت».

٢ـ ومثل ما رواه البخاري ومسلم[2] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((كَانَتْ امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا، فَقَالَتْ صَاحِبَتُهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وَقَالَتْ الْأُخْرَى: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى.

---

(١) الأندر: البَيْدَر، وهو الموضع الذي يداس فيه الطعام.

(٢) البخاري: كتاب الإيمان - بَاب قَوْلِ الله تَعَالَى ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ (٣/ ١٢٦٠ رقم ٣٢٢٤)، وكتاب الفرائض - بَاب إِذَا ادَّعَتْ الْمَرْأَةُ ابْنًا (٦ / ٢٤٧٢ رقم٦٣٨٧) واللفظ له في الموضعين. ومسلم: في الأقضية - باب بيان اختلاف المجتهدين (٥ / ١٣٣ رقم ٤٥٩٢).

فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ فَأَخْبَرَتَاهُ، فَقَالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتْ الصُّغْرَى: لَا تَفْعَلْ يَرْحَمُكَ اللهُ! هُوَ ابْنُهَا، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى)).

٣- وكذلك ما قَصَّهُ النبي ﷺ من تفصيلات لأخبار بعض النبيين والمرسلين الذين سبقوه مثل قصة إبراهيم وابنه إسماعيل، وقصة موسى والخضر وغيرهم عليهم السلام[١].

٤- ومن ذلك أيضًا: قصص الماضين من الأفراد والأمم، مثل حديث الثلاثة الذين تكلموا في المهد الذي رواه البخاري ومسلم[٢] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ فَقَالَ، أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي، فَقَالَتْ: اللهمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ، وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِهِ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى،

---

(١) وهاتان قصتان طويلتان وفيهما تفصيلات دقيقة لا يمكن الاطلاع عليها أو معرفتها إلا بالوحي الصادق، ونكتفي بالإشارة إليهما: فانظرهما - غير مأمور- في صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء- باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (٣/ ١٢٢٧ رقم ٣١٨٤)، وباب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام (٣/ ١٢٤٦ رقم ٣٢١٩).

(٢) البخاري: في كتاب الأنبياء - بَاب قَوْلِ الله: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ (٣/ ١٢٦٨ رقم ٨٥٢٣) واللفظ له. مسلم: في البر والصلة والآداب باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة (٨/ ٤ رقم ٦٦٧٣).

فَأَتَتْ رَاعِيًا فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا، فَوَلَدَتْ غُلَامًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ! فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلَامَ، فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلَامُ؟ قَالَ: الرَّاعِي! قَالُوا: نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا مِنْ طِينٍ.

وَكَانَتْ امْرَأَةٌ تُرْضِعُ ابْنًا لَهَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ رَاكِبٌ ذُو شَارَةٍ، فَقَالَتْ: اللهمَّ اجْعَلْ ابْنِي مِثْلَهُ! فَتَرَكَ ثَدْيَهَا وَأَقْبَلَ عَلَى الرَّاكِبِ، فَقَالَ: اللهمَّ لَا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى ثَدْيِهَا يَمَصُّهُ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَمَصُّ إِصْبَعَهُ. ثُمَّ مُرَّ بِأَمَةٍ فَقَالَتْ: اللهمَّ لَا تَجْعَلْ ابْنِي مِثْلَ هَذِهِ، فَتَرَكَ ثَدْيَهَا فَقَالَ: اللهمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا، فَقَالَتْ: لِمَ ذَاكَ؟ فَقَالَ: الرَّاكِبُ جَبَّارٌ مِنْ الْجَبَابِرَةِ، وَهَذِهِ الْأَمَةُ يَقُولُونَ: سَرَقْتِ زَنَيْتِ، وَلَمْ تَفْعَلْ)).

٥ـ وقصة حَبْسِ الشَّمس لنبي الله يوشع بن نون التي رواها البخاري ومسلم(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((غَزَا نَبِيٌّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ

(١) البخاري: كتاب الخُمُس - بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: أُحِلَّتْ لَكُمْ الْغَنَائِم (٣/ ١١٣٦ رقم٢٩٥٦) واللفظ له، وكتاب النكاح - بَابٌ مَنْ أَحَبَّ الْبِنَاءَ قَبْلَ الْغَزْوِ (٥/ ١٩٧٩ رقم ٤٨٦٢) مختصرًا. مسلم: في الجهاد والسير- باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة (٥/ ١٤٥ رقم ٤٦٥٣).

اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَات وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنْ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا! فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ- يَعْنِي النَّارَ- لِتَأْكُلَهَا؛ فَلَمْ تَطْعَمْهَا، فَقَالَ، إِنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَلْيُبَايِعْنِي قَبِيلَتُكَ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمْ الْغُلُولُ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنْ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا، فَجَاءَتْ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا.

ثُمَّ أَحَلَّ الله لَنَا الْغَنَائِمَ، رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا)).

٦ـ **ومثل: قصة الثلاثة أصحاب الغار**، وقصة أبرص وأعمى وأقرع بني إسرائيل[١]، وقصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام[٢].

---

(١) أخرجها: البخاري كتاب المزارعة - باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم وكان في ذلك صلاح لهم (٢/ ٨٢١ رقم ٢٢٠٨)، وكتاب الأنبياء - باب ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ ﴾ (٣/ ١٢٧٦)، وكتاب الأدب - باب إجابة دعاء من بر والديه (٥/ ٢٢٢٨ رقم ٥٦٢٩). ومسلم في الذكر والدعاء - باب قصة أصحاب الغار الثلاثة (٨/ ٨٩ رقم ٧١٢٥).

(٢) أخرجها مسلم: في كتاب الزهد والرقائق - باب قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ (٨/ ٢٢٩ رقم ٧٧٠٣).

ب- الإعجاز الغيبي فيما يتعلق بحاضر النبي ﷺ:

١- وذلك مثل: إخبار النبي ﷺ أصحابه بمقتل القراء السبعين ببئر معونة:

كما رواه البخاري[1] عن هِشَام بْن عُرْوَةَ عن أَبيه قَالَ: لَمَّا قُتِلَ الَّذِينَ بِبِئْرِ مَعُونَةَ وَأُسِرَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، قَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ: مَنْ هَذَا؟ - فَأَشَارَ إِلَى قَتِيلٍ - فَقَالَ لَهُ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ: هَذَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُهُ بَعْدَ مَا قُتِلَ، رُفِعَ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ، ثُمَّ وُضِعَ. فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ خَبَرُهُمْ، فَنَعَاهُمْ، فَقَالَ: ((إِنَّ أَصْحَابَكُمْ قَدْ أُصِيبُوا، وَإِنَّهُمْ قَدْ سَأَلُوا رَبَّهُمْ فَقَالُوا: رَبَّنَا أَخْبِرْ عَنَّا إِخْوَانَنَا بِمَا رَضِينَا عَنْكَ وَرَضِيتَ عَنَّا. فَأَخْبَرَهُمْ عَنْهُمْ)).

فمن الذي أخبر النبي ﷺ بخبر هؤلاء الشهداء وبينه وبين الأرض التي قُتِلُوا فيها؟ أخبره بذلك ربُّه ومولاه العليم الخبير، على لسان جبريل عليه السلام.

---

(١) البخاري: كتاب المغازي – بَاب غَزْوَةِ الرَّجِيعِ وَرِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَبِئْرِ مَعُونَةَ (٤ / ١٥٠٢ رقم ٣٨٦٧).

٢ـ ومثل: إخبار النبي ﷺ أصحابه بمقتل قادة مؤتة مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فِي جُمَادَى مِنْ سَنَةِ ثَمانٍ، قبل وصول خبرهم، كما رواه البخاري[١] عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبَرُهُمْ، فَقَالَ: **((أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ ـ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ ـ حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ))**.

٣ـ ومثل: إخبار النبي ﷺ أصحابه بموت النجاشي، كما رواه البخاري[٢] **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ.**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ الله ﷺ النَّجَاشِيَّ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ يَوْمَ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: **((اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ))**.

---

(١) البخاري: في كتاب الجنائز - بَاب الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ (١/ ٤٢٠ رقم ١١٨٩). وكتاب الجهاد والسير - بَاب تَمَنِّي الشَّهَادَةِ (٣/ ١٠٣٠ رقم ٢٦٤٥). وبَاب مَنْ تَأَمَّرَ فِي الْحَرْبِ مِنْ غَيْرِ إِمْرَةٍ إِذَا خَافَ الْعَدُوَّ (٣/ ١١١٥ رقم ٢٨٩٨). وكتاب فضائل الصحابة - بَاب مَنَاقِبِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ (٣/ ١٣٧٢ رقم ٣٥٤٧). وكتاب المغازي - بَاب غَزْوَةِ مُؤْتَةَ مِنْ أَرْضِ الشَّأْمِ (٤/ ١٥٥٤ رقم ٤٠١٣ و٤٠١٤).

(٢) البخاري: في كتاب الجنائز - بَاب الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ بِنَفْسِهِ (١/ ٤٢٠ رقم ١١٨٢). وبَاب الصَّلَاةِ عَلَى الْجَنَائِزِ بِالْمُصَلَّى وَالْمَسْجِدِ (١/ ٤٤٦ رقم ١٢٦٣). بَاب التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَرْبَعًا (١/ ٤٤٧ رقم ١٢٦٨). وكتاب فضائل الصحابة - بَاب مَوْتِ النَّجَاشِيِّ (٣/ ١٤٠٧ رقم ٣٦٦٤).

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ[1] قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِي: ((مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ)).

قال النووي رحمه الله تعالى[2]: فِيهِ مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ الله ﷺ لِإِعْلَامِهِ بِمَوْتِ النَّجَاشِيّ وَهُوَ فِي الْحَبَشَة فِي الْيَوْم الَّذِي مَاتَ فِيهِ.

وقال الحافظ[3]: وَفِي قِصَّة النَّجَاشِيّ عَلَم مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة، لِأَنَّهُ ﷺ أَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِهِ فِي الْيَوْم الَّذِي مَاتَ فِيهِ، مَعَ بُعْد مَا بَيْن أَرْض الْحَبَشَة وَالْمَدِينَة.

٤ـ إخباره ﷺ بكتاب حاطب إلى أهل مكة:

روى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم[4] عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي

(١) أخرجه مسلم: في الجنائز – باب في التكبير على الجنازة (٣/ ٥٤ رقم ٢٢٤٧ و٢٢٥٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٧/ ٢١).
(٣) فتح الباري (٣/ ١٨٨).
(٤) البخاري: في الجهاد، باب الجاسوس (٣/ ١٠٩٥ رقم ٢٨٤٥). وباب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن (٣/ ١١٢٠ رقم ٢٩١٥). وفي المغازي– باب فضل من شهد بدرًا (٤ / ١٤٦٣ رقم ٣٧٦٢). وباب: غزوة الفتح وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ (٤/ ١٥٥٧ رقم ٤٠٢٥). وفي التفسير– باب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٤/ ١٨٥٥ رقم ٤٦٠٨). وفي الاستئذان– باب من نظر في كتاب من يحذر على المسلمين ليستبين أمره (٥/ ٢٣٠٩ رقم ٥٩٠٤). وفي استتابة المرتدين– باب ما جاء في المتأولين (٦/ ٢٥٤٢ رقم ٦٥٤٠). ومسلم في الفضائل– باب من فضائل أهل بدر، وَقِصَّة حَاطِب بْن أَبِي بَلْتَعَة (٧/ ١٦٧ رقم ٦٥٥٧).
رَوْضَةُ خَاخٍ: موضع بَيْن مَكَّة وَالْمَدِينَة بِقُرْبِ الْمَدِينَة بِاثْنَيْ عَشَرَ مِيلًا.
عِقَاصِهَا: بِكَسْرِ الْعَيْن جَمْع عَقِيصَة وَهِيَ الشَّعْر الْمَضْفُور. (شرح النووي على مسلم: ١٦/ ٥٥ والنهاية في غريب الأثر ٣/ ٢٧٥). =

رَسُولُ الله ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ: ((**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا**))، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ، فَقُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ. فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ.

فَأَنَخْنَا بِهَا فَابْتَغَيْنَا فِي رَحْلِهَا فَمَا وَجَدْنَا شَيْئًا. قَالَ صَاحِبَايَ: مَا نَرَى كِتَابًا. قَالَ: قُلْتُ: **لَقَدْ عَلِمْتُ مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ**. فَقُلْنَا: وَالَّذِي يُحْلَفُ بِهِ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ [في رواية[1]: لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ]، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا.

= قَالَ الْحَافِظ في «الفتح» (٦/ ١٩١): وَالْجَمْع بَيْن رواية: «من عقاصها» وَبَيْن روَايَة «أَخْرَجَتْهُ مِنْ حُجْزَتِهَا» أَيْ مَعْقِد الْإِزَار لِأَنَّ عَقِيصَتهَا طَوِيلَة بِحَيْثُ تَصِل إِلَى حُجْزَتهَا فَرَبَطَتْهُ فِي عَقِيصَتهَا وَغَرَزَتْهُ بِحُجْزَتِهَا.

الظَّعِينَة هُنَا: الْجَارِيَ، وَأَصْلُهَا الْهَوْدَجُ، وَسُمِّيَتْ بِهَا الْجَارِيَة؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ فِيه. وَاسْم هَذِهِ الظَّعِينَة سَارَة مَوْلَاة لِعِمْرَان بْن أَبِي صَيْفِيّ الْقُرَشِيّ.

وَفِي هَذَا مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُول الله ﷺ.

مُلْصَقًا- بِصِيغَة الْمَجْهُول-: أَيْ حَلِيفًا.

(١) في باب الجاسوس، وباب: غزوة الفتح، وباب ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾. وقد سبق بيان مواضعها قبل قليل.

فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟)) قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ واللهِ مَا بِي أَنْ لَا أَكُونَ مُؤْمِنًا بالله وَرَسُولِهِ ﷺ، إِنِّي كُنْتُ امْرَءًا مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمَكَّةَ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلَا ارْتِدَادًا وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((لَقَدْ صَدَقَكُمْ وَلَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا)).

قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ، فدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ!

قَالَ: ((إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكُونَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ)).

فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَأَنْزَلَ الله السُّورَةَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[الممتحنة: ١].

قال النووي رحمه الله تعالى: وَفِي هَذَا مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ الله ﷺ.

ت ـ الإعجاز الغيبي فيما يتعلق بالمستقبل:

وَهَذِهِ الغيبيات الآتية وَأَمْثَالهَا مِمَّا أَخْبَرَ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَقَعُ بَعْدُ قَبْلَ أَنْ تَقُوم السَّاعَة، عَلَى أَقْسَام:

أَحَدهَا: مَا وَقَعَ عَلَى وَفْق مَا قَالَ. مثل: اقْتِتَال الْفِئَتَيْنِ الْعَظِيمَتَيْنِ، وَظُهُور الْفِتَن، وَكَثْرَة الْهَرْج، وَتَطَاوُل النَّاس فِي الْبُنْيَان، وَتَمَنِّي بَعْض النَّاس الْمَوْت، وَقِتَال التُّرْك، وَتَمَنِّي رُؤْيَته ﷺ... وغير ذلك.

وَالثَّانِي: مَا وَقَعَتْ مَبَادِيه وَلَمْ يَسْتَحْكِمْ. مثل: تَقَارُب الزَّمَان، وَكَثْرَة الزَّلَازِل، وَخُرُوج الدَّجَّالِينَ الْكَذَّابِينَ، وإسناد الأمر إلى غير أهله... وغير ذلك.

وَالثَّالِث: مَا لَمْ يَقَع مِنْهُ شَيْء وَلَكِنَّهُ سَيَقَعُ. مثل: طُلُوع الشَّمْس مِنْ مَغْرِبهَا، وخروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان،

وخروج يأجوج ومأجوج، ونطق الحجر في قتال المسلمين لليهود، والتسافد في الطريق كالحُمُر.

الأول: ما وقع من الغيبيات على وفق ما قال ﷺ، ومن أمثلته:

١ـ التطاول في البنيان:

روى البخاري[1]: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ)).

قال الحافظ[2]: وَهِيَ مِنْ العلامات الَّتِي وَقَعَتْ عَنْ قُرْب فِي زَمَن النُّبُوَّة، وَمَعْنَى التَّطَاوُل فِي الْبُنْيَان: أَنَّ كُلًّا مِمَّنْ كَانَ يَبْنِي بَيْتًا يُريد أَنْ يَكُون ارْتِفَاعه أَعْلَى مِنْ ارْتِفَاع الْآخَر، وَيَحْتَمِل: أَنْ يَكُون الْمُرَاد الْمُبَاهَاة بِهِ فِي الزِّينَة وَالزَّخْرَفَة أَوْ أَعَمّ مِنْ ذَلِكَ، وَقَدْ وُجِدَ الْكَثِير مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ فِي اِزْدِيَاد.

٢ـ إخباره ﷺ عن قتل مسيلمة الكذاب:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ الله عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ ـ وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ ـ فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ

---

(١) في كتاب الفتن – بَاب خُرُوجِ النَّارِ (٦/ ٢٦٠٥ رقم ٦٧٠٤).
(٢) فتح الباري (١٣ / ٨٨).

ثَابتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ الله ﷺ قِطْعَةُ جَرِيدٍ - حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ((لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ الله فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ الله، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ يُجِيبُكَ عَنِّي))، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ الله ﷺ: ((إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ))، فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوحِيَ إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي، أَحَدُهُمَا: الْعَنْسِيُّ، وَالْآخَرُ: مُسَيْلِمَةُ [الْكَذَّابَ صَاحِبَ الْيَمَامَةِ]))[1].

مُسَيْلِمَة - مُصَغَّر، بِكَسْرِ اللَّام - اِبْن ثُمَامَة بْن كَبِير - بِمُوَحَّدَة - اِبْن حَبِيب بْن الْحَارِث مِنْ بَنِي حَنِيفَة. قَالَ اِبْن إِسْحَاق: اِدَّعَى النُّبُوَّة سَنَة عَشَر. وكَانَ يُقَال لَهُ فِي قومه: «رَحْمَان الْيَمَامَة»، لِعَظْم قَدْره فِيهِمْ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب - بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَام (٣/ ١٣٢٥ رقم ٣٤٢٤) والفقرة الأولى وما بين المعكوفين منه، وفي كتاب المغازي - بَاب وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ (٤/ ١٥٩٠ رقم ٤١١٥) والفقرة الثانية منه. ومسلم: في الرؤيا - باب رؤيا النبي ﷺ (٧/ ٥٧ رقم ٦٠٧٣).

قَوْله: ((وَلَئِنْ أَدْبَرْت لَيَعْقِرَنَّك)) أَيْ إن خَالَفْت الْحَقّ ليُهْلِكَنَّك.

فَأَمَّا الْأَسْوَد العنسي فَقُتِلَ فِي زَمَن النبي ﷺ، وَأَمَّا مُسَيْلِمَة فَكَانَ الْقَائِم عَلَيْهِ حَتَّى قَتَلَهُ أَبُو بَكْر الصِّدِّيق فَقَامَ مَقَام النَّبِيّ ﷺ فِي ذَلِكَ. وهذا من معجزات النبوة(١).

٣- فتح جزيرة العرب وفارس والروم:

روى مسلم(٢): عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةٍ، قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ، عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ الله ﷺ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: ائْتِهِمْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ، قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: **((تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا الله، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا الله، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ فَيَفْتَحُهُ الله))**، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ لَا نَرَى الدَّجَّالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ.

---

(١) فتح الباري (٨/ ٨٩). شرح النووي على مسلم (١٥/ ٣٣).

(٢) مسلم فِي كتاب الفتن وأشراط الساعة – بَاب مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَّالِ (٨/ ١٧٨ رقم ٧٤٦٦).

هَذَا الْحَدِيث فِيهِ مُعْجِزَات لِرَسُولِ الله ﷺ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلّهَا بِحَمْدِ الله كَمَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ، ما عدا غَزْوِ الدجال فلمّا يقع بعد، وَصَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَى رَسُوله الصَّادِق الَّذِي لَا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يُوحَى.

وقد تحقق فتح جزيرة العرب في عهد أبي بكر، وكذلك تحقق غزو الروم في عهد عمر، وتم بسط نفوذ المسلمين على الشام في عهده، وتم فتح فارس وبسط النفوذ عليها كاملاً، وقتل آخر أكاسرتهم في عهد عثمان رضي الله عنه.

٤ـ هلاك كسرى وقيصر وزوال ملكهما:

روى البخاري ومسلم[١] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلَا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ الله))[٢].

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب - في باب علامات النبوة (٣/ ١٣٢٥ رقم ٣٤٢٢) واللفظ له. وفي كتاب الجهاد - بَاب الْحَرْبُ خَدْعَةٌ (٣/ ١١٠٢ رقم ٢٨٦٤) بلفظ: (هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَقَيْصَرٌ لَيَهْلِكَنَّ ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرٌ بَعْدَهُ، وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهَا فِي سَبِيلِ الله)، وَسَمَّى الْحَرْبَ خَدْعَةً. وأخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ (٨/ ١٨٧ رقم ٧٥١٣) باللفظ الثاني عند البخاري.

(٢) (كِسْرَى) بِكَسْرِ الْكَاف وَيَجُوز الْفَتْح: وَهُوَ لَقَبٌ لِكُلِّ مَنْ وَلِيَ مَمْلَكَة الْفُرْس، (وَقَيْصَر): لَقَب لِكُلِّ مَنْ وَلِيَ مَمْلَكَة الرُّوم. (فتح الباري: ٦/ ٦٢٥).

هذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله كما أخبر به ﷺ.

قَالَ الشَّافِعِيّ وَسَائِر الْعُلَمَاء: مَعْنَاهُ لَا يَكُون كِسْرَى بِالْعِرَاق، وَلَا قَيْصَر بِالشَّام كَمَا كَانَ فِي زَمَنه ﷺ فَعَلَّمَنَا ﷺ بِانْقِطَاعِ مُلْكهمَا فِي هَذَيْنِ الْإِقْلِيمَيْنِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ.

فَأَمَّا كِسْرَى فَانْقَطَعَ مُلْكه وَزَالَ بِالْكُلِّيَّةِ مِنْ جَمِيع الْأَرْض، وَتَمَزَّقَ مُلْكه كُلّ مُمَزَّق، وَاضْمَحَلَّ بِدَعْوَةِ رَسُول الله ﷺ.

وَأَمَّا قَيْصَر فَانْهَزَمَ مِنْ الشَّام، وَدَخَلَ أَقَاصِي بِلَاده، فَافْتَتَحَ الْمُسْلِمُونَ بِلَادهمَا، وَاسْتَقَرَّتْ لِلْمُسْلِمِينَ، ولله الْحَمْد، وَأَنْفَقَ الْمُسْلِمُونَ كُنُوزهمَا فِي سَبِيل الله كَمَا أَخْبَرَ ﷺ، وَهَذِهِ مُعْجِزَات ظَاهِرَة[١].

وَقَدْ اُسْتُشْكِلَ هَذَا الحديث مَعَ بَقَاء مَمْلَكَة الْفُرْس؛ لِأَنَّ آخِرهمْ قُتِلَ فِي زَمَان عُثْمَان، وَاسْتُشْكِلَ أَيْضًا مَعَ بَقَاء مَمْلَكَة الرُّوم!![٢]

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٢).
(٢) فتح الباري (٦/ ٦٢٥).

وَأُجِيبَ عَنْ ذَلِكَ:

بِأَنَّ الْمُرَاد لَا يَبْقَى كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلَا قَيْصَر بِالشَّام، وَهَذَا مَنْقُول عَنْ الشَّافِعِيّ قَالَ: وَسَبَب الْحَدِيث أَنَّ قُرَيْشًا كَانُوا يَأْتُونَ الشَّام وَالْعِرَاق تُجَّارًا، فَلَمَّا أَسْلَمُوا خَافُوا انْقِطَاع سَفَرهمْ إِلَيْهِمَا لِدُخُولِهِمْ فِي الْإِسْلَام، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ ذَلِكَ لَهُمْ تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ، وَتَبْشِيرًا لَهُمْ بِأَنَّ مُلْكهمَا سَيَزُولُ عَنْ الْإِقْلِيمَيْنِ الْمَذْكُورَيْنِ.

وَقِيلَ: الْحِكْمَة فِي أَنَّ قَيْصَر بَقِيَ مُلْكه وَإِنَّمَا ارْتَفَعَ مِنْ الشَّام وَمَا وَالَاهَا، وَكِسْرَى ذَهَبَ مُلْكه أَصْلًا وَرَأْسًا: أَنَّ قَيْصَر لَمَّا جَاءَهُ كِتَاب النَّبِيّ ﷺ قَبَّلَهُ وَكَادَ أَنْ يُسْلِم، وَكِسْرَى لَمَّا أَتَاهُ كِتَاب النَّبِيِّ ﷺ مَزَّقَهُ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُمَزَّق مُلْكه كُلّ مُمَزَّق فَكَانَ كَذَلِكَ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: مَعْنَاهُ فَلَا قَيْصَر بَعْده يَمْلِك مِثْل مَا يَمْلِك، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ بِالشَّامِ وَبِهَا بَيْت الْمَقْدِس الَّذِي لَا يَتِمّ لِلنَّصَارَى نُسُك إِلَّا بِهِ، وَلَا يَمْلِك عَلَى الرُّوم أَحَد إِلَّا كَانَ قَدْ دَخَلَهُ إِمَّا سِرًّا وَإِمَّا جَهْرًا، فَانْجَلَى عَنْهَا قَيْصَر وَاسْتُفْتِحَتْ خَزَائِنه، وَلَمْ يَخْلُفهُ أَحَد مِنْ الْقَيَاصِرَة فِي تِلْكَ الْبِلَاد بَعْدُ.

وَوَقَعَ عند البخاري فِي الرِّوَايَة الَّتِي فِي «بَاب الْحَرْب خَدْعَة» مِنْ كِتَاب الْجِهَاد: «هَلَكَ كِسْرَى ثُمَّ لَا يَكُون كِسْرَى بَعْده، وَلَيَهْلِكَن قَيْصَر».

قِيلَ: وَالْحِكْمَة فِيهِ أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لَمَّا هَلَكَ كِسْرَى بْن هُرْمُز كَمَا روى البخاري فِي حَدِيث أَبِي بَكْرَة فِي كِتَاب الْأَحْكَام[1] قَالَ: «بَلَغَ النَّبِيّ ﷺ أَنَّ أَهْل فَارِس مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ اِمْرَأَة...» الْحَدِيث.

وَكَانَ ذَلِكَ لَمَّا مَاتَ شِيرَوَيْهِ بْن كِسْرَى فَأَمَّرُوا عَلَيْهِمْ بِنْته بُورَان.

وَأَمَّا قَيْصَر فَعَاشَ إِلَى زَمَن عُمَر، سَنَة عِشْرِينَ عَلَى الصَّحِيح، وَقِيلَ: مَاتَ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ، وَالَّذِي حَارَبَ الْمُسْلِمِينَ بِالشَّامِ وَلَده، وَكَانَ يُلَقَّب أَيْضًا قَيْصَر.

وَعَلَى كُلّ تَقْدِير فَالْمُرَاد مِنْ الْحَدِيث وَقَعَ لَا مَحَالَة لِأَنَّهُمَا لَمْ تَبْقَ مَمْلَكَتهمَا عَلَى الْوَجْه الَّذِي كَانَ فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ.

---

(١) باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٤/ ١٦١٠ رقم ٤١٦٣). ولفظه: عَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: لَقَدْ نَفَعَنِي الله بِكَلِمَةٍ سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ أَيَّامَ الْجَمَلِ، بَعْدَ مَا كِدْتُ أَنْ أَلْحَقَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ فَأُقَاتِلَ مَعَهُمْ، قَالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى، قَالَ: (لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمْ امْرَأَةً).

(ومعنى هذا أن الإمبراطورية الفارسية زالت إلى الأبد، وخلص العراق من الحكم الفارسي إلى الأبد، وكان كذلك. فقد زال ملك الأكاسرة نهائيًا في زمن سيدنا عمر ﷺ، بعد فتح المدائن، والقضاء على دولتهم.

كما يعني زوال الإمبراطورية البيزنطية إلى الأبد، وكان كذلك فخلصت الشام من حكمهم، وصارت معقلًا من معاقل الإسلام، كما هو الحال في العراق. فقد زال حكم البيزنطيين، بفتح آسيا الوسطى وبفتح القسطنطينية، وهلاك آخر ملوكهم على يد السلطان العثماني محمد الفاتح)[١].

وفي الحديث: إخبار رسول الله ﷺ بإنفاق كنوز كسرى وقيصر في سبيل الله تعالى:

ذلك لأنه ﷺ قد أعطاه الله تعالى الكنزين، الأحمر والأبيض، فقد روى مسلم[٢] عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **((إِنَّ الله زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ))**.

---

(١) مختصر أشراط الساعة للأستاذ الدكتور إبراهيم خليل ملّا خاطر العزامي. ط٢: مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة للثقافة الإسلامية.

(٢) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب هَلاَكُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ. (٨/ ١٧١ رقم ٧٤٤٠).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ[١] قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ أَوْ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ كَنْزَ آلِ كِسْرَى الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ)).

وروى البخاري[٢] عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ له: ((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى)). قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟! قَالَ: ((كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ)). قَالَ عَدِيٌّ: وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ.

قَالَ الْعُلَمَاء[٣]: الْمُرَاد بِالْكَنْزَيْنِ: الذَّهَب وَالْفِضَّة، وَالْمُرَاد: كَنْزَيْ كِسْرَى وَقَيْصَر مَلِكَيْ الْعِرَاق وَالشَّام.

وعبَّر بالأحمر عن كنز قيصر، لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى، لأن الغالب عندهم كان الفضة والجوهر.

وقد ظهر ذلك، ووجد كذلك في زمان الفتوح، في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه، فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في

(١) مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة - باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخَلَصَةِ (٨/ ١٨٧ رقم ٧٥١٥).

(٢) البخاري: كتاب المناقب - بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٣/ ١٣١٦ رقم ٣٤٤٠).

(٣) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٦/ ١٠٠)، شرح النووي على مسلم (١٨/ ١٣).

بيوت أمواله، وجميع ما حوته مملكته، على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله تعالى بقيصر، لما فتحت بلاده.

وفِيهِ إِشَارَة إِلَى أَنَّ مُلْك هَذِهِ الْأُمَّة يَكُون مُعْظَم اِمْتِدَاده فِي جِهَتَيْ الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب، وَهَكَذَا وَقَعَ. وَأَمَّا فِي جِهَتَيْ الْجَنُوب وَالشِّمَال فَقَلِيل بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرِق وَالْمَغْرِب، وَصَلَوَات الله وَسَلَامه عَلَى رَسُوله الصَّادِق الَّذِي لَا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يُوحَى.

٥- إخبار الرسول ﷺ بحصول الأمن والرخاء:

روى البخاري[١] عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: ((يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟)) قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا. قَالَ: **((فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللهَ))**.

قُلْتُ - فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي -: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ؟

((وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى)).

---

(١) البخاري: كتاب المناقب - بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٣/ ١٣١٦ رقم ٣٤٤٠).

قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟! قَالَ: ((كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ. وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ)).

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ إِلَّا اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: ((يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ))[1].

قال الحافظ في «الفتح»[2]: قَوْله: ((فَلَا يَجِد أَحَدًا يَقْبَلهُ مِنْهُ)): أَيْ لِعَدَمِ الْفُقَرَاء فِي ذَلِكَ الزَّمَان، يَحْتَمِل أَنْ يَكُون ذَلِكَ إِشَارَة إِلَى مَا يَكُون عِنْد نُزُول عِيسَى اِبْن مَرْيَم عليه السلام، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون ذَلِكَ إِشَارَة إِلَى مَا وَقَعَ فِي زَمَن عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز.

---

(١) (الْحِيرَة): بِكَسْرِ الْمُهْمَلَة وَسُكُون التَّحْتَانِيَّة وَفَتْح الرَّاء: كَانَتْ بَلَد مُلُوك الْعَرَب الَّذِينَ تَحْت حُكْم آل فَارِس، وَكَانَ مَلِكهمْ يَوْمئِذٍ إِيَاس بْن قَبِيصَة الطَّائِيّ وَلِيَهَا مِنْ تَحْت يَد كِسْرَى بَعْد قَتْل النُّعْمَان بْن الْمُنْذِر، وَلِهَذَا قَالَ عَدِيّ بْن حَاتِم: فَأَيْنَ دُعَّار طَيِّئٍ؟

قَوْله: (فَأَيْنَ دُعَّار طَيِّئٍ): الدُّعَّار جَمْع دَاعِر وَهُوَ بِمُهْمَلَتَيْنِ وَهُوَ الشَّاطِر الْخَبِيث الْمُفْسِد، وَالْمُرَاد قُطَّاع الطَّرِيق. وَطَيِّئ قَبِيلَة مَشْهُورَة، مِنْهَا عَدِيّ بْن حَاتِم الْمَذْكُور، وَبِلَادهمْ مَا بَيْن الْعِرَاق وَالْحِجَاز، وَكَانُوا يَقْطَعُونَ الطَّرِيق عَلَى مَنْ مَرَّ عَلَيْهِمْ بِغَيْرِ جِوَار، وَلِذَلِكَ تَعَجَّبَ عَدِيّ كَيْف تَمُرّ الْمَرْأَة عَلَيْهِمْ وَهِيَ غَيْر خَائِفَة.

قَوْله: (قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَاد): أَيْ أَوْقَدُوا نَار الْفِتْنَة، أَيْ مَلَؤُوا الْأَرْض شَرًّا وَفَسَادًا، وَهُوَ مُسْتَعَار مِنْ اسْتِعَار النَّار وَهُوَ تَوَقُّدهَا. (فتح الباري: ٦/ ٦١٣) و(النهاية لابن الأثير ٢/ ١١٩ و٣٦٩).

(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٣).

وَبِذَلِكَ جَزَمَ الْبَيْهَقِيُّ وَأَخْرَجَ فِي «الدَّلَائِل» مِنْ طَرِيق يَعْقُوب بْن سُفْيَان بِسَنَدِهِ إِلَى عُمَر بْن أَسِيد بْن عَبْد الرَّحْمَن بْن زَيْد بْن الْخَطَّاب قَالَ: «إِنَّمَا وَلِيَ عُمَر بْن عَبْد الْعَزِيز ثَلَاثِينَ شَهْرًا، أَلَا وَاللهِ مَا مَاتَ حَتَّى جَعَلَ الرَّجُل يَأْتِينَا بِالْمَالِ الْعَظِيم فَيَقُول: اِجْعَلُوا هَذَا حَيْثُ تَرَوْنَ فِي الْفُقَرَاء، فَمَا يَبْرَح حَتَّى يَرْجِع بِمَالِهِ يَتَذَكَّر مَنْ يَضَعهُ فِيهِ فَلَا يَجِدهُ»، قال البيهقي: فيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم، انتهى.

ولا شك في رجحان هَذَا الِاحْتِمَال عَلَى الْأَوَّل؛ لِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيث: (وَلَئِنْ طَالَتْ بِك حَيَاة).

قَوْله: (وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاة لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ): هُوَ مَقُول عَدِيّ بْن حَاتِم، وَقَوْله: (يُخْرِج مِلْء كَفّه ـ أَيْ مِنْ الْمَال ـ فَلَا يَجِد مَنْ يَقْبَلهُ) رِوَايَة أَحْمَد: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَن الثَّالِثَة لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ قَالَهَا».

وَقَدْ وَقَعَ ذَلِكَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَآمَنَ بِهِ عَدِيّ.

وروى البخاري[١] عَنْ خَبَّاب بْنِ الْأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ ـ قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللهَ لَنَا؟ قَالَ: ((كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ

(١) البخاري في كتاب المناقب – في باب علامات النبوة (٣/ ١٣٢٢ رقم ٣٤١٦).

يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ[1] لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ أَوْ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ)).

ويستفاد من هذين الحديثين: أنه على المسلمين أن يثقوا في وعد الله تعالى لهم بالنصر والتمكين، وليس استعظامهم النصر في زماننا هذا بأعجب مما استعظمه عَدِيٌّ ﷺ، والله نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) قَوْله: (حَتَّى يَسِير الرَّاكِب مِنْ صَنْعَاء إِلَى حَضْرَمَوْت): يَحْتَمِل أَنْ يُرِيد صَنْعَاء الْيَمَن، وَبَيْنهَا وَبَيْن حَضْرَمَوْت مِنْ الْيَمَن أَيْضًا مَسَافَة بَعِيدَة نَحْو خَمْسَة أَيَّام، وَيَحْتَمِل أَنْ يُرِيد صَنْعَاء الشَّام وَالْمَسَافَة بَيْنهمَا أَبْعَد بِكَثِيرٍ، وَالْأَوَّل أَقْرَب، قَالَ يَاقُوت: هِيَ قَرْيَة عَلَى بَاب دِمَشْق عِنْد بَاب الْفَرَادِيس تَتَّصِل بِالْعَقِيبَة.

قُلْت: وَسُمِّيَتْ بِاسْمِ مَنْ نَزَلَهَا مِنْ أَهْل صَنْعَاء الْيَمَن. فتح الباري ٦/ ٦١٩).

قَالَ اِبْن بَطَّال: إِنَّمَا لَمْ يُجِبْ النَّبِيُّ ﷺ سُؤَالَ خَبَّاب وَمَنْ مَعَهُ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْكُفَّار مَعَ قَوْله تَعَالَى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وَقَوْله: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾؛ لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ سَبَقَ الْقَدَرُ بِمَا جَرَى عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَلْوَى لِيُؤْجَرُوا عَلَيْهَا، كَمَا جَرَتْ بِهِ عَادَة الله تَعَالَى فِي مَنْ اِتَّبَعَ الْأَنْبِيَاء فَصَبَرُوا عَلَى الشِّدَّة فِي ذَات الله، ثُمَّ كَانَتْ لَهُمْ الْعَاقِبَة بِالنَّصْرِ وَجَزِيل الْأَجْر.

قَالَ: فَأَمَّا غَيْر الْأَنْبِيَاء فَوَاجِب عَلَيْهِمْ الدُّعَاء عِنْد كُلّ نَازِلَة؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَا اِطَّلَعَ عَلَيْهِ النَّبِيّ ﷺ اِنْتَهَى مُلَخَّصًا.

وَلَيْسَ فِي الْحَدِيث تَصْرِيح بِأَنَّهُ ﷺ. لَمْ يَدْعُ لَهُمْ بَلْ يَحْتَمِل أَنَّهُ دَعَا، وَإِنَّمَا قَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلكُمْ يُؤْخَذ... الخ»: تَسْلِيَة لَهُمْ، وَإِشَارَة إِلَى الصَّبْر حَتَّى تَنْقَضِي الْمُدَّة الْمَقْدُورَة، وَإِلَى ذَلِكَ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ فِي آخِر الْحَدِيث: «وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». (فتح الباري ١٢/ ٣١٦).

٦ـ الإخبار بمقتل عمار بن ياسر بصفة عجيبة:

روى البخاري[(١)] عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً، وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ وَيَقُولُ: ((وَيْحَ عَمَّارٍ![(٢)] تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ))[(٣)].

---

(١) البخاري: كتاب المساجد – بَاب التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ (١/ ١٧٢ رقم ٤٣٦). وأخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة – باب لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلَاءِ (٨/ ١٨٦ رقم ٧٥٠٤ و٧٥٠٦).

(٢) (وَيْح عَمَّار): ويْحَ: كَلِمةُ تَرَحُّم وتَوَجُّع، تقالُ لمن وَقَع في هَلَكةٍ لا يَسْتَحِقُّها. وقد قال أكثر أهل اللغة: إن الويل كلمة تقال لكل من وقع في هَلَكَة وعذاب. والفرق بين «ويح» و«ويل»: أن «وَيْلًا» تقال لمن وقع في هَلَكَة أو بلية لا يترحم عليه. و«وَيْح» تقال لكل من وقع في بلية يُرْحَمُ ويُدْعى له بالتخلص منها. ألا ترى أن الويل في القرآن لمستحقي العذاب بجرائمهم: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾، ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾، ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾، وما أشبهها؟ ما جاءَ «ويل» إلا لأهل الجرائم.

وأما «وَيح» فإن النبي ﷺ قالها لعَمَّار الفاضل؛ كأنه أُعْلِمَ ما يُبْتَلى به من القتل؛ فَتَوَجَّعَ له وترحم عليه. (النهاية في غريب الأثر: ٥/ ٥٣٠، ولسان العرب: ٢ / ٦٣٨).

(٣) فَإِنْ قِيلَ: كَانَ قَتْله بِصِفِّينَ وَهُوَ مَعَ عَلِيٍّ، وَالَّذِينَ قَتَلُوهُ مَعَ مُعَاوِيَة، وَكَانَ مَعَهُ جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة، فَكَيْف يَجُوز عَلَيْهِمْ الدُّعَاء إِلَى النَّار؟

فَالْجَوَاب: أَنَّهُمْ كَانُوا ظَانِّينَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْجَنَّة، وَهُمْ مُجْتَهِدُونَ لَا لَوْم عَلَيْهِمْ فِي اِتِّبَاع ظُنُونهمْ، فَالْمُرَاد بِالدُّعَاءِ إِلَى الْجَنَّة: الدُّعَاء إِلَى سَبَبهَا وَهُوَ طَاعَة الْإِمَام، وَكَذَلِكَ كَانَ عَمَّار يَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَة عَلِيّ، وَهُوَ الْإِمَام الْوَاجِب الطَّاعَة إِذْ ذَاكَ، وَكَانُوا هُمْ يَدْعُونَ إِلَى خِلَاف ذَلِكَ لَكِنَّهُمْ مَعْذُورُونَ لِلتَّأْوِيلِ الَّذِي ظَهَرَ لَهُمْ. =

قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ الْفِتَنِ.

وروى أحمد(١) عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ قَالَ: قَالَ عَمَّارٌ يَوْمَ صِفِّينَ: ائْتُونِي بِشَرْبَةِ

= (فَائِدَةٌ): رَوَى حَدِيث «تَقْتُل عَمَّارًا الْفِئَة الْبَاغِيَة» جَمَاعَة مِنْ الصَّحَابَة: مِنْهُمْ قَتَادَة بْن النُّعْمَان كَمَا تَقَدَّمَ، وَأُمّ سَلَمَة عِنْد مُسْلِم، وَأَبُو هُرَيْرَة عِنْد التِّرْمِذِيّ، وَعَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص عِنْد النَّسَائِيّ، وَعُثْمَان بْن عَفَّان وَحُذَيْفَة وَأَبُو أَيُّوب وَأَبُو رَافِع وَخُزَيْمَة بْن ثَابِت وَمُعَاوِيَة وَعَمْرو بْن الْعَاص وَأَبُو الْيُسْر وَعَمَّار نَفْسه، وَكُلّهَا عِنْد الطَّبَرَانِيّ وَغَيْره، وَغَالِب طُرُقهَا صَحِيحَة أَوْ حَسَنَة، وَفِيهِ عَنْ جَمَاعَة آخَرِينَ يَطُول عَدّهمْ. (فتح الباري ١/ ٥٤١).

(١) أخرجه أحمد (٣١/ ١٧٢ رقم ١٨٨٨٠)، قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ.

وأخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه»(١٥ / ٣٠١) قال: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ.

وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣ / ٢٥٧) قال: أخبرنا وكيع بن الجراح، والفضل ابن دكين.

وأبو يعلى في «مسنده» (٣/ ١٨٨ رقم ١٦١٣) من طريق ابن مهدي. وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١/ ٢٠٣ رقم ٢٧٢). قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ [هو ابن أبي شيبة]، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ.

والحاكم (٣/ ٤٣٩ رقم ٥٦٦٩) من طريق أبي نعيم [هو الفضل بن دكين]، ومحمد بن كثير.

والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٤٢١) من طريق الحاكم السابقة. ومن طريق ابن أبي شيبة عن وكيع.

وأيضًا في (٢/ ٥٥٢) من طريق قبيصة [هو ابن عقبة السوائي].

جميعهم - وكيع، والفضل، وابن مهدي، ومحمد بن كثير، وقبيصة - عن سُفْيَان، عَنْ حَبِيب بْن أَبِي ثَابِت، عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ [هو سعيد بن فيروز] قَالَ: قَالَ عَمَّارٌ... الحديث، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، أبو البختري؛ وهو سعيد بن فيروز لم يدرك عمار بن ياسر، ولم يشهد صفين كما يستفاد من (تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل: ص ١٢٦).

قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي! وقال الحافظ البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة» (٧/ ١٠٧): رواه أبو بكر بن أبي شيبة وأحمد بن حنبل بسند رواته ثقات!

وقال محقق مسند أبي يعلى: رجاله رجال الصحيح! =

= وفاتهم جميعًا أن يُعِلُّوه بالانقطاع بين أبي البختري وعمار ﷺ.
وقد تنبه الهيثمي إلى هذا الانقطاع فقال في مجمع الزوائد (٧/ ٤٨٩ رقم ١٢٠٦١، ط دار الفكر ببيروت): «رواه أحمد والطبراني. ورجال أحمد رجال الصحيح إلا أنه منقطع».
وإن كان للحديث طريق أخرى صحيحة تُقَوِّي حديثَ أبي البختري كما في الحاشية التالية.
وللحديث طريق أخرى عن أبي البختري، أخرجها: أبو يعلى (٣/ ١٩٦ رقم١٦٢٦) قال: حدثنا وهب بن بقية. بلفظ: أن عمارًا يوم صفين جعل يقاتل فلا يقتل فيجيء إلى علي فيقول: يا أمير المؤمنين، أليس هذا يوم كذا؟ وكذا هو؟ فيقول: أَذْهَبَ عنك. فقال ذلك مرارًا، ثم أُتِي بلبن فشربه، فقال عمار: إن هذه لآخر شربة أشربها من الدنيا، ثم تقدم فقاتل حتى قُتل.
والخطيب في «تاريخ بغداد: ١/ ١٥٢» من طريق يحيى الحماني.
وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤١) من طريق الحماني.
بلفظ: أن عمار بن ياسر يوم صفين أُتِي بلبن فشربه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال لي: (هذه آخر شربة تشربها من الدنيا) ثم تقدمَ فقاتل، حتى قُتل.
كلاهما عن خالد [هو ابن عبد الله الواسطي] عن عطاء [هو ابن السائب] عن ميسرة وأبي البختري... الحديث.
قال الهيثمي في المجمع (٩/ ٢٩٧): «رواه الطبراني وأبو يعلى بأسانيد، وفي بعضها عطاء بن السائب وقد تغير، وبقية رجاله ثقات، وبقية الأسانيد ضعيفة».
قلت: وهذا إسناد ضعيف، فيه عطاء بن السائب وهو صدوق قد اختلط كما في «التقريب» (ص٣٩١)، وقد روى عنه خالد بن عبد الله بعد اختلاطه كما في (٧/ ١٨٤)، وأبو البختري لم يدرك عمارًا، وقد تابعه ميسرة في الإسناد، وميسرة اثنان، يروي عنهما عطاء، وكلاهما «مقبول» كما في «التقريب» (ص٥٥٥)، ولم أجد من نص على ذكرهما في الرواة عن عمار؛ أما أحدهما: فهو ابن يعقوب أبو جميلة الطُهَوي، وأما الآخر: فهو أبو صالح الكندي.
قلت: وأولهما أقربهما إلى أن يكون هو المذكور في الإسناد، لأنه كان حامل راية علي ﷺ.
وللحديث طريق أخرى عن عمار، أخرجها مُطَوَّلَةً:
أبو يعلى (٣/ ١٨٩ رقم١٦١٤).
والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٤٢١) كلهم من طريق الماجشون يعقوب ابن أبي سلمة. وهو صدوق كما في «التقريب» (ص ٢٩). =

لَبَن، فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: ((آخِرُ شَرْبَةٍ تَشْرَبُهَا مِنْ الدُّنْيَا شَرْبَةُ لَبَنٍ، فَأُتِيَ بِشَرْبَةِ لَبَنٍ فَشَرِبَهَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقُتِلَ)).

= وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٧١).

وأخرجه:

ابن سعد (٣/ ٢٥٨).

والحاكم (٣/ ٣٨٥) من طريق محمد بن عمر الواقدي (وهو متروك كما في «التقريب»:٤٩٨) عن عبد الله بن أبي عبيدة. (ولم أجد له ترجمة) عن أبيه أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر، عن مولاة لعمار، هي- عند الحاكم وابن سعد- لؤلؤة مولاة أم الحكم بنت عمار بن ياسر، وليس لها ترجمة في كتب الرجال التي بين أيدينا. وأبو عبيدة ابن محمد بن عمار بن ياسر: مقبول، كما في «التقريب» (ص٦٥٦).

وله طريق أخرى بسند ضعيف، أخرجها:

البزار في مسنده (١/ ٢٤٦) من طرق عِيسَى بْنِ مُسْلِم، كَانَ يُقَالُ لَهُ: أَبُو دَاوُدَ الأَعْمَى، عَنْ عَبْدِ الأَعْلَى بْنِ عَامِرٍ الثَّعْلَبِيِّ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَرِيكٍ الْعَامِرِيِّ، عَنْ مُسْلِمِ بْنِ مِخْرَاقٍ، عَنْ مِخْرَاقٍ، مَوْلَى حُذَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَمَّارٍ: إِنَّ لَكَ مَعَادًا؟ قَالَ: أُفْرِغُهُ كُلَّهُ، إِنَّ حَبِيبِي حَدَّثَنِي أَنَّ آخِرَ مَشْرَبِي مِنَ الدُّنْيَا ضَيَاحُ لَبَنٍ حَتَّى أَرِدَ عَلَيْهِ الْحَوْضَ.

قلت: وهذا إسناد ضعيف؛ عيسى بن مسلم الأعمى: ضعيف. كما في « التقريب: ص٤٤٠» وشيخه عبد الأعلى كذلك: كما في «المغني في الضعفاء: ١/ ٣٦٤». ومخراق مولى أبي حذيفة ليست له ترجمة في الكتب التي بين أيدينا.

وله شاهد عن أم سلمة إلا أنه ضعيف، أخرجه:

عبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ٢٣٩ رقم ٢٠٤٢٦) عن معمر، عمن سمع الحسن، يحدث عن أبيه، (كذا! وعند البيهقي: «عن أمه» وهو الصواب فإن الحسن إنما يروي عن أمه «خيرة» مولاة أم سلمة وليس عن أبيه) عن أم سلمة قالت: لما كان النبي ﷺ وأصحابه يبنون المسجد، جعل أصحاب النبي ﷺ يحمل كل رجل منهم لبنة، وعمار يحمل لبنتين: عنه لبنة، وعن النبي ﷺ لبنة، فقام النبي ﷺ فمسح ظهره وقال: (يا ابْنَ سُمَيَّةَ، للنَّاسِ أَجْرٌ وَلَكَ أَجْرَانِ، وَآخِرُ زَادِكَ شَرْبَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ).

والبيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٥٥٠) من طريق عبد الرزاق. =

وروى الحاكم[١] عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: سمعتُ عمار بن ياسر، بِصِفِّين في اليوم الذي قُتِلَ فيه، وهو ينادي: أُزْلِفَتِ الجَنَّةُ، وَزُوِّجَتِ الحُورُ العِينُ، اليومَ نَلْقَى حَبِيبَنَا محمدًا ﷺ، عَهِدَ إِلَيَّ: ((أَنَّ آخِرَ زَادِكَ مِنَ الدُّنْيَا ضَيْحٌ[٢] مِنْ لَبَنٍ)).

فِي هَذَا الْحَدِيث عَلَمٌ مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة، وَفَضِيلَة ظَاهِرَة لِعَلِيٍّ وَلِعَمَّار، وَرَدٌّ عَلَى النَّوَاصِب الزَّاعِمِينَ أَنَّ عَلِيًّا لَمْ يَكُنْ مُصِيبًا فِي حُرُوبه[٣].

= قلت: وهذا إسناد ضعيف لجهالة الراوي عن الحسن. وأم الحسن «مقبولة» كما في (التقريب: ص٧٤٦، وانظر التهذيب: ١٢/ ٣٧٦).

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٤٣٩ رقم ٥٦٦٨) قال: أخبرنا أبو الوليد الفقيه وأبو بكر بن قريش قالا: ثنا الحسن بن سفيان، ثنا حرملة بن يحيى، ثنا عبد الله بن وهب، أخبرني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، سمعت عمار بن ياسر... الحديث.

والطبراني في (المعجم الأوسط:٦/ ٣٠١ رقم ٦٤٦٧) قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عرس نا حرملة بن يحيى. به

والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٥٢) من طريق الحاكم.

وقال الحاكم: صحيح على شرطهما ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. والألباني في «الصحيحة» (٧/ ٦٦٢رقم ٣٢١٧).

وقال الأرنؤوط (حاشية المسند: ٣١/ ١٧٣): وهذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حرملة بن يحيى، فقد أخرج له مسلم، وهو ثقة، وقد أكثر الرواية عن ابن وهب، وانفرد عنه بأحاديث، ولا يضره ذلك، فقد قال ابن عدي: وقد تبحرتُ حديث حرملة وفتشته الكثير، فلم أجد فيه ما يجب أن يضعف من أجله، ورجل يكون حديث ابن وهب كله عنده، فليس ببعيد إن يغرب على غيره كتبًا ونسخًا.

قلنا: وبهذا الإسناد يصح الحديث، وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي إلا أنهما قالا: على شرط الشيخين! وفاتهما أن حرملة لم يرو له سوى مسلم.

(٢) الضَّيْح: اللبن الرقيق الكثير الماء. (النهاية: ٣/ ١٠٧).

(٣) فتح الباري (١/ ٥٤١).

قال النووي رحمه الله تعالى[1]:

وَفِيهِ مُعْجِزَة ظَاهِرَة لِرَسُولِ الله ﷺ مِنْ أَوْجُه: مِنْهَا: أَنَّ عَمَّارًا يَمُوت قَتِيلًا، وَأَنَّهُ يَقْتُلُهُ مُسْلِمُونَ، وَأَنَّهُمْ بُغَاة، وَأَنَّ الصَّحَابَة يُقَاتِلُونَ، وَأَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِرْقَتَيْنِ: بَاغِيَة، وَغَيْرهَا، وَكُلّ هَذَا قَدْ وَقَعَ مِثْل فَلَق الصُّبْح، صَلَّى الله وَسَلَّمَ عَلَى رَسُوله الَّذِي لَا يَنْطِق عَنْ الْهَوَى، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْي يُوحَى.

٧ـ إخبار النبي ﷺ بالخوارج، وَذِكْرُ علامة دقيقة تدل عليهم:

روى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم[2] عن أبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيم فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! اعْدِلْ!! فَقَالَ: **((وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟! قَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ[3] إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ))**؟!

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ.

فَقَالَ: **((دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ**

(١) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٤٠).

(٢) البخاري: في كتاب المناقب – في باب علامات النبوة (٣/ ١٣٢١ رقم ٣٤١٤). ومسلم: في الزكاة – باب ذِكر الخَوَارج وَصِفَاتِهِمْ (٣/ ١٠٩ رقم ٢٥٠٥).

(٣) قوله: (خِبْتَ وَخَسِرْتَ)؛ قَالَ النَّوَوِي فِي شرح مسلم (٧/ ١٥٩): روي بفتح التاء في (خبت وخسرت) وبضمها فيهما، ومعنى الضمِّ ظاهر، وتقدير الفتح: خبتَ أنت أيها التابع إذا كنتُ لا أعدل؛ لكونك تابعًا ومقتديًا بمن لا يعدل. والفتح أشهر، والله أعلم.

السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَضِيِّهِ وَهُوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ.

آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَدَرْدَرُ، وَيَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ)). قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فَأُتِيَ بِهِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ[1].

---

(١) (لَا يُجَاوِز حناجرهم): يَحْتَمِل أَنَّهُ لِكَوْنِهِ لَا تَفْقَهُهُ قُلُوبهمْ وَيَحْمِلُونَهُ عَلَى غَيْر الْمُرَاد بِهِ، وَيَحْتَمِل أَنْ يَكُون الْمُرَاد أَنَّ تِلَاوَتهمْ لَا تَرْتَفِع إِلَى الله. (فتح الباري: ٦/ ٦١٨).

(الْبَضْعَة) بِفَتْحِ الْبَاء لَا غَيْرُ: وَهِيَ الْقِطْعَة مِنْ اللَّحْم. وَ(تَدَرْدَرُ): مَعْنَاهُ تَضْطَرِب وَتَذْهَب وَتَجِيء.

قَوْله ﷺ: (يَخْرُجُونَ عَلَى حِين فُرْقَة مِنْ النَّاس): أَيْ اِفْتِرَاق يَقَع بَيْن الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ الِافْتِرَاق الَّذِي كَانَ بَيْن عَلِيّ وَمُعَاوِيَة رَضِيَ الله عَنْهُمَا.

(الرِّصَاف)؛ فَبِكَسْرِ الرَّاء وَبِالصَّاد الْمُهْمَلَة: وَهُوَ مَدْخَل النَّصْل مِنْ السَّهْم، وَ(النَّصْل): هُوَ حَدِيدَة السَّهْم، وَ(الْقِدْح): عُودُهُ، وَ(الْقُذَذ)؛ بِضَمِّ الْقَاف وَبِذَالَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ: وَهُوَ رِيش السَّهْم. (نَضِيّه)؛ بِفَتْحِ النُّون، وَحُكِيَ ضَمّهَا وَبِكَسْرِ الْمُعْجَمَة بَعْدهَا تَحْتَانِيَّة ثَقِيلَة: قَدْ فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيث بِالْقِدْحِ بِكَسْرِ الْقَاف وَسُكُون الدَّال؛ أَيْ عُود السَّهْم قَبْل أَنْ يُرَاشَ وَيُنَصَّل، قَالَ اِبْن فَارِس: سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ بُرِيَ حَتَّى عَادَ نِضْوًا أَيْ هَزِيلًا.

(الرَّمِيَّة): الصَّيْد الْمَرْمِيّ، شَبَّهَ مُرُوقهمْ مِنْ الدِّين بِالسَّهْمِ الَّذِي يُصِيب الصَّيْد فَيَدْخُل فِيهِ وَيَخْرُج مِنْهُ، وَمِنْ شِدَّة سُرْعَة خُرُوجه لِقُوَّةِ الرَّامِي لَا يَعْلَق مِنْ جَسَد الصَّيْد شَيْء.

وهؤلاء القوم هُمْ الْخَوَارِج، وَسُمُّوا: خَوَارِج؛ لِخُرُوجِهِمْ عَلَى الْجَمَاعَة، وَقِيلَ: لِخُرُوجِهِمْ عَنْ=

وروى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم(١) عن عَلِيٍّ ﷺ قال: إذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ فَلأَنْ أَخِرَّ مِنْ السَّمَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكْذِبَ عَلَيْهِ، وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فَإِنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))(٢).

= طَرِيق الْجَمَاعَة، وَقِيلَ: لِقَوْلِهِ ﷺ: (يَخْرُج مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا). وسُمُّوا (حَرُورِيَّة)؛ لأَنَّهُمْ نَزَلُوا حَرُورَاءَ وَتَعَاقَدُوا عِنْدهَا عَلَى قِتَال أَهْل الْعَدْل (وَحَرُورَاء) بِفَتْحِ الْحَاء وَبِالْمَدِّ: قَرْيَة بِالْعِرَاقِ قَرِيبَة مِنْ الْكُوفَة. (شرح النووي على مسلم: ٧/ ١٦٤).

(١) البخاري: في كتاب المناقب – في باب علامات النبوة (٣/ ١٣٢١ رقم ٣٤١٥). وكتاب فضائل القرآن– بَاب إِثْمُ مَنْ رَاءَى بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ أَوْ تَأَكَّلَ بِهِ أَوْ فَخَرَ بِهِ (٤/ ١٩٢٧ رقم ٤٧٧٠). وكتاب المغازي – بَاب بَعْثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ (٤/ ١٥٨١ رقم ٤٠٩٤). وكتَاب اسْتِتَابَةِ الْمُرْتَدِّينَ وَالْمُعَانِدِينَ وَقِتَالِهِمْ – بَاب قَتْلِ الْخَوَارِجِ وَالْمُلْحِدِينَ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ (٦/ ٢٥٣٩ رقم ٦٥٣١). وبَاب مَنْ تَرَكَ قِتَالَ الْخَوَارِجِ لِلتَّأَلُّفِ وَأَنْ لَا يَنْفِرَ النَّاسُ عَنْهُ (٦/ ٢٥٤٠ رقم ٦٥٣٤). وكتاب التوحيد – بَاب قِرَاءَةِ الْفَاجِرِ وَالْمُنَافِقِ وَأَصْوَاتُهُمْ وَتِلَاوَتُهُمْ لَا تُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ (٦/ ٢٧٤٨ رقم ٧١٢٣). ومسلم: في الزكاة – باب التحريض على قتل الخوارج (٣/ ١٠٩– ١١٣ رقم ٢٥٠٥ – ٢٥١٠).

(٢) حُدَثَاء الأَسْنَان: أَيْ صِغَارهَا، وَ«سُفَهَاء الأَحْلَام»: أَيْ ضُعَفَاء الْعُقُول. وَقَوْله: (يَقُولُونَ مِنْ قَوْل خَيْر الْبَرِيَّة): أَيْ مِنْ الْقُرْآن؛ كَمَا فِي حَدِيث أَبِي سَعِيد الَّذِي قَبْله «يَقْرَءُونَ الْقُرْآن»، وَكَانَ أَوَّل كَلِمَة خَرَجُوا بِهَا قَوْلهمْ: لَا حُكْم إِلَّا الله، وَانْتَزَعُوهَا مِنْ الْقُرْآن وَحَمَلُوهَا عَلَى غَيْر مَحْمَلهَا. (فتح الباري: ٦/ ٦١٩).

وروى مسلم[1] عن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ الجُهَنِيِّ أَنَّهُ كَانَ فِي الْجَيْشِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَ عَلِيٍّ ﷺ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى الْخَوَارِجِ فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: ((يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَيْسَ قِرَاءَتُكُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صَلَاتُكُمْ إِلَى صَلَاتِهِمْ بِشَيْءٍ، وَلَا صِيَامُكُمْ إِلَى صِيَامِهِمْ بِشَيْءٍ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ يَحْسِبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ، لَا تُجَاوِزُ صَلَاتُهُمْ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ.

لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنْ الْعَمَلِ.

وَآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ وَلَيْسَ لَهُ ذِرَاعٌ، عَلَى رَأْسِ عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَرَاتٌ بِيضٌ)).

فَتَذْهَبُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَأَهْلِ الشَّامِ وَتَتْرُكُونَ هَؤُلَاءِ يَخْلُفُونَكُمْ فِي ذَرَارِيِّكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ! وَالله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونُوا هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ، وَأَغَارُوا فِي سَرْحِ النَّاسِ، فَسِيرُوا عَلَى اسْمِ الله.

قَالَ سَلَمَةُ بْنُ كُهَيْلٍ: فَنَزَّلَنِي زَيْدُ بْنُ وَهْبٍ مَنْزِلًا حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَةٍ، فَلَمَّا الْتَقَيْنَا وَعَلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَئِذٍ عَبْدُ الله بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِبِيُّ، فَقَالَ لَهُمْ: أَلْقُوا الرِّمَاحَ، وَسُلُّوا سُيُوفَكُمْ مِنْ جُفُونِهَا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ

(١) مسلم: كتاب الزكاة – باب التَّحْرِيضِ عَلَى قَتْلِ الْخَوَارِجِ (٣/ ١١٥ رقم ٢٥١٦).

يُنَاشِدُوكُمْ كَمَا نَاشَدُوكُمْ يَوْمَ حَرُورَاءَ، فَرَجَعُوا فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ، وَسَلُّوا السُّيُوفَ، وَشَجَرَهُمُ النَّاسُ بِرِمَاحِهِمْ.

قَالَ: وَقُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَمَا أُصِيبَ مِنَ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ.

فَقَالَ عَلِيٌّ ﷺ: الْتَمِسُوا فِيهِمُ الْمُخْدَجَ. فَالْتَمَسُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَقَامَ عَلِيٌّ ﷺ بِنَفْسِهِ حَتَّى أَتَى نَاسًا قَدْ قُتِلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، قَالَ: أَخِّرُوهُمْ، فَوَجَدُوهُ مِمَّا يَلِي الْأَرْضَ، فَكَبَّرَ ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ اللهُ وَبَلَّغَ رَسُولُهُ.

قَالَ: فَقَامَ إِلَيْهِ عَبِيدَةُ السَّلْمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ آللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؛ لَسَمِعْتَ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، وَهُوَ يَحْلِفُ لَهُ[1].

---

(١) قَوْله: (فَنَزَّلَنِي زَيْد بْن وَهْب مَنْزِلًا حَتَّى قَالَ: مَرَرْنَا عَلَى قَنْطَرَة): أَيْ ذَكَرَ لِي مَرَاحِلَهُمْ بِالْجَيْش مَنْزِلًا مَنْزِلًا حَتَّى بَلَغَ الْقَنْطَرَة الَّتِي كَانَ الْقِتَال عِنْدهَا، وَهِيَ قَنْطَرَة الدَّبْرَجَان، كَذَا جَاءَ مُبَيَّنًا فِي سُنَن النَّسَائِيّ، وَهُنَاكَ خَطَبَهُمْ عَلِيّ ﷺ، وَرَوَى لَهُمْ هَذِهِ الْأَحَادِيث.
(فَوَحَّشُوا بِرِمَاحِهِمْ): أَيْ رَمَوْا بِهَا عَنْ بُعْد.
قَوْله: (وَشَجَرَهُمْ النَّاس بِرِمَاحِهِمْ): هُوَ بِفَتْحِ الشِّين الْمُعْجَمَة وَالْجِيم الْمُخَفَّفَة: أَيْ مَدُّوهَا إِلَيْهِمْ وَطَاعَنُوهُمْ بِهَا، وَمِنْهُ التَّشَاجُر فِي الْخُصُومَة.
قَوْله: (وَمَا أُصِيبَ مِنْ النَّاس يَوْمَئِذٍ إِلَّا رَجُلَانِ): يَعْنِي مِنْ أَصْحَاب عَلِيّ، وَأَمَّا الْخَوَارِج فَقُتِلُوا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْض.
اسْتَحْلَفَ عَبِيدة السلماني عَلِيًّا ثَلَاثًا وَإِنَّمَا اسْتَحْلَفَهُ لِيُسْمِعَ الْحَاضِرِينَ، وَيُؤَكِّد ذَلِكَ عِنْدهمْ، وَيَظْهَر لَهُمْ الْمُعْجِزَة الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا رَسُول الله ﷺ وَيَظْهَر لَهُمْ أَنَّ عَلِيًّا وَأَصْحَابه أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ=

وروى البخاري ومسلم ـ واللفظ له ـ[(١)] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيٌّ ﷺ وَهُوَ بِالْيَمَنِ بِذَهَبَةٍ فِي تُرْبَتِهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَسَمَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ الْحَنْظَلِيُّ، وَعُيَيْنَةُ بْنُ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ عُلاَثَةَ الْعَامِرِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي كِلاَبٍ، وَزَيْدُ الْخَيْرِ الطَّائِيُّ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَبْهَانَ.

قَالَ: فَغَضِبَتْ قُرَيْشٌ، فَقَالُوا: أَتُعْطِي صَنَادِيدَ نَجْدٍ وَتَدَعُنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنِّي إِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لأَتَأَلَّفَهُمْ))، فَجَاءَ رَجُلٌ كَثُّ اللِّحْيَةِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، نَاتِئُ الْجَبِينِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، فَقَالَ: اتَّقِ اللهَ يَا مُحَمَّدُ!! قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((فَمَنْ يُطِعْ اللهَ إِنْ عَصَيْتُهُ، أَيَأْمَنُنِي عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ وَلاَ تَأْمَنُونِي؟!)).

قَالَ: ثُمَّ أَدْبَرَ الرَّجُلُ، فَاسْتَأْذَنَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ فِي قَتْلِهِ ـ يُرَوْنَ أَنَّهُ خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ((إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلاَمِ وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ)).

= بِالْحَقِّ، وَأَنَّهُمْ مُحِقُّونَ فِي قِتَالِهِمْ. (شرح النووي على مسلم: ٧/ ١٧٢).

(١) البخاري: كتاب الأنبياء- بَاب قَوْلِ الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ (٣/ ١٢١٩ رقم ٣١٦٦). ومسلم: في الزكاة - باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ (٣/ ١٠٩ رقم ٢٤٩٩).

وفي رواية للبخاري[١]: بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ الْيَمَنِ بِذُهَيْبَةٍ فِي أَدِيمٍ مَقْرُوظٍ لَمْ تُحَصَّلْ مِنْ تُرَابِهَا، قَالَ: فَقَسَمَهَا بَيْنَ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ: بَيْنَ عُيَيْنَةَ بْنِ بَدْرٍ وَأَقْرَعَ بْنِ حابِسٍ وَزَيْدِ الْخَيْلِ وَالرَّابِعُ: إِمَّا عَلْقَمَةُ وَإِمَّا عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا نَحْنُ أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ! قَالَ: فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: ((أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً؟!)).

قَالَ: فَقَامَ رَجُلٌ غَائِرُ الْعَيْنَيْنِ، مُشْرِفُ الْوَجْنَتَيْنِ، نَاشِزُ الْجَبْهَةِ، كَثُّ اللِّحْيَةِ، مَحْلُوقُ الرَّأْسِ، مُشَمَّرُ الْإِزَارِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ اتَّقِ اللهَ!!

قَالَ: ((وَيْلَكَ! أَوَلَسْتُ أَحَقَّ أَهْلِ الْأَرْضِ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ؟!))، قَالَ: ثُمَّ وَلَّى الرَّجُلُ.

قَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا أَضْرِبُ عُنُقَهُ؟ قَالَ: ((لَا، لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ يُصَلِّي))، فَقَالَ خَالِدٌ: وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ يَقُولُ بِلِسَانِهِ مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهِ!!.

---

(١) البخاري: كتاب المغازي – بَاب بَعْثُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وَخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ (٤/ ١٥٨١ رقم ٤٠٩٤).

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ)).

قَالَ: ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُقَفٍّ فَقَالَ: ((إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَتْلُونَ كِتَابَ الله رَطْبًا، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ))، وَأَظُنُّهُ قَالَ: ((لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ ثَمُودَ))[1].

---

(١) (فَقَامَ رَجُلٍ غَائِرِ الْعَيْنَيْنِ)؛ بِالغِينَ المُعْجَمَة وَالتَّحْتَانِيَّة وَزْن فَاعِل مِنْ الْغَوْر، وَالمُرَاد أَنَّ عَيْنَيْهِ دَاخِلَتَانِ فِي مَحَاجِرِهِمَا لَاصِقَتَيْنِ بِقَعْرِ الْحَدَقَة، وَهُوَ ضِدّ الْجُحُوظ.

قَوْله: (مُشْرِف)؛ بِشِين مُعْجَمَة وَفَاء: أَيْ بَارِزهمَا، وَالْوَجْنَتَانِ الْعَظْمَانِ الْمُشْرِفَانِ عَلَى الْخَدَّيْنِ.

قَوْله: (نَاشِز)؛ بِنُونٍ وَشَيْنَ مُعْجَمَة وَزَاي: أَيْ مُرْتَفِعهَا، وفِي رِوَايَة: «نَاتِئ الْجَبِين» بِنُونٍ وَمُثَنَّاة عَلَى وَزْن فَاعِل؛ مِنْ النُّتُوء: أَيْ أَنَّهُ يَرْتَفِع عَلَى مَا حَوْله. وَأَمَّا (الْجَبِين) فَهُوَ جَانِب الْجَبْهَة، وَلِكُلِّ إِنْسَان جَبِينَانِ يَكْتَنِفَانِ الْجَبْهَة.

قَوْله: (مَحْلُوق): معناه أَنَّ الْخَوَارِج سِيمَاهُمْ التَّحْلِيق، وَكَانَ السَّلَف يُوَفِّرُونَ شُعُورهمْ لَا يَحْلِقُونَهَا، وَكَانَتْ طَرِيقَة الْخَوَارِج حَلْق جَمِيع رُءُوسِهِمْ.

وَهَذَا الرَّجُل الذي اعترض النبي ﷺ هُوَ ذُو الْخُوَيْصِرَة التَّمِيمِيّ كَمَا ورد عند البخاري صَرِيحًا فِي عَلَامَات النُّبُوَّة مِنْ وَجْه آخَر عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيّ. وَعِنْد أَبِي دَاوُدَ اِسْمه نَافِع، وَرَجَّحَهُ السُّهَيْلِيّ، وَقِيلَ: اِسْمه حُرْقُوص بْن زُهَيْر السَّعْدِيّ.

قَالَ الْقُرْطُبِيّ: إِنَّمَا مَنَعَ قَتْله وَإِنْ كَانَ قَدْ اِسْتَوْجَبَ الْقَتْل؛ لِئَلَّا يَتَحَدَّث النَّاس أَنَّهُ يَقْتُل أَصْحَابه وَلَا سِيَّمَا مَنْ صَلَّى.

وَقَالَ الْمَازِرِيّ: يُحْتَمَل أَنْ يَكُون النَّبِيّ ﷺ لَمْ يَفْهَم مِنْ الرَّجُل الطَّعْن فِي النُّبُوَّة، وَإِنَّمَا نَسَبَهُ إِلَى تَرْك الْعَدْل فِي الْقِسْمَة، وَلَيْسَ ذَلِكَ كَبِيرَة، وَالْأَنْبِيَاء مَعْصُومُونَ مِنْ الْكَبَائِر بِالْإِجْمَاعِ. وَاخْتُلِفَ فِي جَوَاز وُقُوع الصَّغَائِر. =

وبناء على النظر في هذه الروايات: نتبين أن قصة ظهور الخوارج مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ مِنْ الْمُغَيَّبَات فَوَقَعَت كَمَا قَالَ.

قال النووي: وَفِي هَذَا الْحَدِيث مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ:

أ ـ فَإِنَّهُ أَخْبَرَ بِهَذَا وَجَرَى كُلّه كَفَلَقِ الصُّبْح.

ب ـ وَيَتَضَمَّن بَقَاء الْأُمَّة بَعْده ﷺ، وَأَنَّ لَهُمْ شَوْكَةً وَقُوَّةً خِلَافَ مَا كَانَ الْمُبْطِلُونَ يُشِيعُونَهُ، وَأَنَّهُمْ يَفْتَرِقُونَ فِرْقَتَيْنِ.

= قَوْله: (يَخْرُج مِنْ ضِئْضِئ): كَذَا لِلْأَكْثَر بِضَادَيْنِ مُعْجَمَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ بَيْنهمَا تَحْتَانِيَّة مَهْمُوزَة سَاكِنَة وَفِي آخِره تَحْتَانِيَّة مَهْمُوزَة أَيْضًا، وَفِي رِوَايَة الْكُشْمِيهَنِيِّ بِصَادَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ، فَأَمَّا بِالضَّادِ الْمُعْجَمَة: فَالْمُرَاد بِهِ النَّسْل وَالْعَقِب، وَزَعَمَ اِبْن الْأَثِير أَنَّ الَّذِي بِالْمُهْمَلَةِ بِمَعْنَاهُ، وَحَكَى اِبْن الْأَثِير أَنَّهُ رُوِيَ بِالْمَدِّ بِوَزْنِ قِنْدِيل، وَفِي رِوَايَة سَعِيد بْن مَسْرُوق فِي أَحَادِيث الْأَنْبِيَاء أَنَّهُ مِنْ ضِئْضِئ هَذَا أَوْ مِنْ عَقِب هَذَا.

قَوْله: (يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّين): فِي رِوَايَة سَعِيد بْن مَسْرُوق: «مِنْ الْإِسْلَام»، وَفِيهِ رَدّ عَلَى مَنْ أَوَّلَ الدِّين هُنَا بِالطَّاعَةِ، وَقَالَ: إِنَّ الْمُرَاد أَنَّهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ طَاعَة الْإِمَام كَمَا يَخْرُج السَّهْم مِنْ الرَّمِيَّة، وَهَذِهِ صِفَة الْخَوَارِج الَّذِينَ كَانُوا لَا يُطِيعُونَ الْخُلَفَاء.

وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ الْمُرَاد بِالدِّينِ: الْإِسْلَام كَمَا فَسَّرَتْهُ الرِّوَايَة الْأُخْرَى، وَخَرَّجَ الْكَلَام مَخْرَج الزَّجْر، وَأَنَّهُمْ بِفِعْلِهِمْ ذَلِكَ يَخْرُجُونَ مِنْ الْإِسْلَام الْكَامِل.

قَوْله: (وَأَظُنّهُ قَالَ: لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْل ثَمُود): فِي رِوَايَة سَعِيد بْن مَسْرُوق: «لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْل عَاد» وَلَمْ يَتَرَدَّد فِيهِ وَهُوَ الرَّاجِح، وَيُرَاد بِهِ: الْقَتْل الشَّدِيد الْقَوِيّ، إِشَارَة إِلَى أَنَّهُمْ مَوْصُوفُونَ بِالشِّدَّةِ وَالْقُوَّة.

وَقَدْ اسْتَشْكَلَ قَوْله: «لَئِنْ أَدْرَكْتهمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ» مَعَ أَنَّهُ نَهَى خَالِدًا عَنْ قَتْل أَصْلهمْ! وَأُجِيبَ: بِأَنَّهُ أَرَادَ إِدْرَاك خُرُوجهمْ وَاعْتِرَاضهمْ الْمُسْلِمِينَ بِالسَّيْفِ، وَلَمْ يَكُنْ ظَهَرَ ذَلِكَ فِي زَمَانه، وَأَوَّل مَا ظَهَرَ فِي زَمَان عَلِيّ كَمَا هُوَ مَشْهُور. (فتح الباري: ٨ / ٦٨ – ٦٩) بتصرف كبير.

ت ـ وَأَنَّهُ يَخْرُج عَلَى عَلِيٍّ ﷺ طَائِفَةٌ مَارِقَةٌ، وَأَنَّهُمْ يُشَدِّدُونَ فِي الدِّين فِي غَيْر مَوْضِع التَّشْدِيد، وَيُبَالِغُونَ فِي الصَّلَاة وَالْقِرَاءَة وَلَا يُقِيمُونَ بِحُقُوقِ الْإِسْلَام، بَلْ يَمْرُقُونَ مِنْهُ، وَأَنَّهُمْ يُقَاتِلُونَ أَهْل الْحَقّ وَأَنَّ أَهْل الْحَقّ يَقْتُلُونَهُمْ، وَأَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا صِفَةُ يَدِهِ كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَنْوَاع مِنْ الْمُعْجِزَات جَرَتْ كُلّهَا ولله الْحَمْد[١].

قال الحافظ ملخصًا عن القرطبي[٢]: وَفِي الْحَدِيث عَلَمٌ مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة حَيْثُ أَخْبَرَ بِمَا وَقَعَ قَبْل أَنْ يَقَع، وَذَلِكَ أَنَّ الْخَوَارِج لَمَّا حَكَمُوا بِكُفْرِ مَنْ خَالَفَهُمْ اِسْتَبَاحُوا دِمَاءَهُمْ وَتَرَكُوا أَهْل الذِّمَّة فَقَالُوا: نَفِي لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَتَرَكُوا قِتَال الْمُشْرِكِينَ وَاشْتَغَلُوا بِقِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَهَذَا كُلّه مِنْ آثَار عِبَادَة الْجُهَّال الَّذِينَ لَمْ تَنْشَرِح صُدُورهمْ بِنُورِ الْعِلْم وَلَمْ يَتَمَسَّكُوا بِحَبْلٍ وَثِيق مِنْ الْعِلْم، وَكَفَى أَنَّ رَأْسَهُمْ رَدَّ عَلَى رَسُول الله ﷺ أَمْرَهُ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْجَوْر، نَسْأَل الله السَّلَامَةَ[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٦٦) بتصرف يسير.

(٢) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم (٢/ ١٣٧)، فتح الباري (١٢/ ٣٠١).

(٣) فائدة: سئل عليٌّ ﷺ عن الخوارج: أكفّار هُمْ؟ قال: من الكفر فرّوا. قيل: فمنافقون؟ قال: إنّ المنافقين لا يذكرون الله إلاّ قليلًا، وأولئك يذكرون الله صباح مساء. قيل: فما هم؟ قال: هم قوم أصابتهم فتنة، فَعَمُوا وصَمُّوا، وإنما هم إخواننا بَغَوْا علينا، وقاتلوا فقاتلناهم. (رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/ ١٥٠ رقم ١٨٦٥٦). قال الحافظ في فتح الباري (١٢/ ٣٠١): وهذا إن ثبت عن عَليٍّ حمل على أنه لم يكن اطلع على معتقدهم الذي أوجب تكفيرهم عند من كَفَّرَهُم.

٨ ـ الإخبار بما يجريه الله تعالى مِنْ صُلْحٍ بين المسلمين على يد الحسن بن علي وهو ما يُعْرَف بـ«عام الجَماعَة»:

روى البخاري(١) عَنْ أَبِي مُوسَى إسرائيل بن موسى البصري قَالَ: سَمِعْتُ الْحَسَنَ يَقُولُ: اسْتَقْبَلَ ـ والله ـ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ مُعَاوِيَةَ بِكَتَائِبَ أَمْثَالِ الْجِبَالِ.

فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: إِنِّي لَأَرَى كَتَائِبَ لَا تُوَلِّي حَتَّى تَقْتُلَ أَقْرَانَهَا!

فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ ـ وَكَانَ والله خَيْرَ الرَّجُلَيْنِ: أَيْ عَمْرُو، إِنْ قَتَلَ هَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ هَؤُلَاءِ، مَنْ لِي بِأُمُورِ النَّاسِ، مَنْ لِي بِنِسَائِهِمْ، مَنْ لِي بِضَيْعَتِهِمْ؟!

فَبَعَثَ إِلَيْهِ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ: عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ وَعَبْدَ الله بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيْزٍ فَقَالَ: اذْهَبَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ فَاعْرِضَا عَلَيْهِ، وَقُولَا لَهُ، وَاطْلُبَا إِلَيْهِ. فَأَتَيَاهُ فَدَخَلَا عَلَيْهِ، فَتَكَلَّمَا وَقَالَا لَهُ، فَطَلَبَا إِلَيْهِ.

---

(١) البخاري: كتاب الصُّلح – بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ الله عَنْهُمَا: «ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ...» (٢/ ٩٦٢ رقم ٢٥٥٧). وكتاب المناقب – باب علامات النبوة في الإسلام (٣/ ١٣٢٨ رقم ٣٤٣٠). وكتاب فضائل الصحابة – بَاب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ الله عَنْهُمَا (٣/ ١٣٦٩ رقم ٣٥٣٦). وكتاب الفتن – بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ...» (٦/ ٢٦٠٢ رقم ٦٦٩٢).

فَقَالَ لَهُمَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ: إِنَّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَصَبْنَا مِنْ هَذَا الْمَالِ، وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا(١).

قَالَا: فَإِنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْكَ كَذَا وَكَذَا، وَيَطْلُبُ إِلَيْكَ وَيَسْأَلُكَ. قَالَ: فَمَنْ لِي بِهَذَا؟ قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ. فَمَا سَأَلَهُمَا شَيْئًا إِلَّا قَالَا: نَحْنُ لَكَ بِهِ. فَصَالَحَهُ.

فَقَالَ الْحَسَنُ: وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبِلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: ((**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**))(٢).

---

(١) قول الحَسَن: (إِنَّا بَنُو عَبْد المُطَّلب أَصَبْنَا مِنْ هَذَا المَال): أَيْ إِنَّا جُبِلْنَا عَلَى الْكَرَم وَالتَّوْسِعَة عَلَى أَتْبَاعنَا مِنْ الْأَهْل وَالْمَوَالِي، وَكُنَّا نَتَمَكَّن مِنْ ذَلِكَ بِالْخِلَافَةِ حَتَّى صَارَ ذَلِكَ لَنَا عَادَة. وَقَوْله: (وَإِنَّ هَذِه الْأُمَّةَ قَدْ عَاثَتْ فِي دِمَائِهَا) أَيْ الْعَسْكَرَيْنِ الشَّامِيّ وَالْعِرَاقِيّ قَتَلَ بَعْضهَا بَعْضًا، فَلَا يَكُفُّونَ عَنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالصَّفْحِ عَمَّا مَضَى مِنْهُمْ، وَالتَّأَلُّف بِالمَال. وَأَرَادَ الْحَسَن بِذَلِكَ كُلّه: تَسْكِين الْفِتْنَة، وَتَفْرِقَة الْمَال عَلَى مَنْ لَا يُرْضِيه إِلَّا المَال. (فتح الباري: ١٣/ ٦٥).

(٢) تعليق على الأحداث المحيطة بالصُّلح:

كَانَ عَلِيّ لَمَّا انْقَضَى أَمْر التَّحْكِيم وَرَجَعَ إِلَى الْكُوفَة تَجَهَّزَ لِقِتَالِ أَهْل الشَّام مَرَّة بَعْدَ أُخْرَى فَشَغَلَهُ أَمْر الْخَوَارِج بِالنَّهْرَوَانِ، وَذَلِكَ فِي سَنَة ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ تَجَهَّزَ فِي سَنَة تِسْع وَثَلَاثِينَ فَلَمْ يَتَهَيَّأ ذَلِكَ لِافْتِرَاقِ آرَاء أَهْل الْعِرَاق عَلَيْهِ، ثُمَّ وَقَعَ الْجِدّ مِنْهُ فِي ذَلِكَ فِي سَنَة أَرْبَعِينَ، فأعد جيشًا للخروج إلى أهل الشام، وَكَانَ أَرْبَعِينَ أَلْفًا بَايَعُوهُ عَلَى الْمَوْت، فَقُتِلَ عَلِيّ قبل الخروج، فَبَايَعُوا الْحَسَن بْن عَلِيّ بِالْخِلَافَةِ، وَكَانَ لَا يُحِبّ الْقِتَال وَلَكِنْ كَانَ يُرِيد أَنْ يَشْتَرِط عَلَى مُعَاوِيَة لِنَفْسِهِ، ووافق ذلك رغبة معاوية في الصلح أيضًا. =

وَفِي هَذِهِ الْقِصَّةِ مِنْ الْفَوَائِد:

أ ـ عَلَم مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة.

ب ـ وَمَنْقَبَةٌ لِلْحَسَنِ بْن عَلِيٍّ فَإِنَّهُ تَرَكَ الْمُلْك لَا لِقِلَّةٍ وَلَا لِذِلَّةٍ وَلَا لِعِلَّةٍ بَلْ لِرَغْبَتِهِ فِيمَا عِنْدَ الله لِمَا رَآهُ مِنْ حَقْنِ دِمَاء الْمُسْلِمِينَ، فَرَاعَى أَمْر الدِّين وَمَصْلَحَة الْأُمَّة.

ت ـ وَفِيهَا رَدّ عَلَى الْخَوَارِج الَّذِينَ كَانُوا يُكَفِّرُونَ عَلِيًّا وَمَنْ مَعَهُ وَمُعَاوِيَة وَمَنْ مَعَهُ، بِشَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلطَّائِفَتَيْنِ بِأَنَّهُمْ مِنْ الْمُسْلِمِينَ، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ سُفْيَان بْن عُيَيْنَةَ يَقُول عَقِبَ هَذَا الْحَدِيث: قَوْله «مِنْ الْمُسْلِمِينَ» يُعْجِبنَا جِدًّا.

= وسَلَّمَ الْحَسَن لِمُعَاوِيَةَ الْأَمْر وَبَايَعَهُ عَلَى إِقَامَة كِتَاب الله وَسُنَّة نَبِيّه، وَدَخَلَ مُعَاوِيَة الْكُوفَة، وَبَايَعَهُ النَّاس فَسُمِّيَتْ سَنَة الْجَمَاعَة؛ لِاجْتِمَاع النَّاس وَانْقِطَاع الْحَرْب. وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ كُلُّ مَنْ كَانَ مُعْتَزِلًا لِلْقِتَال كَابْنِ عُمَر وَسَعْد بْن أَبِي وَقَّاص وَمُحَمَّد بْن مَسْلَمَةَ.

وَلَمَّا صَالَحَ الْحَسَنُ بْن عَلِيّ مُعَاوِيَة؛ قَالَ لَهُ مُعَاوِيَة: قُمْ فَتَكَلَّمْ، فَقَامَ فَحَمِدَ الله، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَكْيَس الْكَيْس التُّقَى، وَإِنَّ أَعْجَز الْعَجْز الْفُجُور. أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ الله هَدَاكُمْ بِأَوَّلِنَا وَحَقَنَ دِمَاءَكُمْ بِآخِرِنَا، وَإِنَّ لِهَذَا الْأَمْر مُدَّة، وَالدُّنْيَا دُوَل. أَلَا وَإِنَّ هَذَا الْأَمْر الَّذِي اخْتَلَفْت فِيهِ أَنَا وَمُعَاوِيَة حَقٌّ لِامْرِئٍ كَانَ أَحَقّ بِهِ مِنِّي، أَوْ حَقٌّ لِي تَرَكْته لِإِرَادَةِ إِصْلَاح الْمُسْلِمِينَ وَحَقْن دِمَائِهِمْ، وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَة لَكُمْ وَمَتَاع إِلَى حِين. ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَنَزَلَ. (فتح الباري: ١٣/ ٦٣).

ج ـ وَفِيهِ فَضِيلَة الْإِصْلَاح بَيْنَ النَّاس، وَلَا سِيَّمَا فِي حَقْن دِمَاء الْمُسْلِمِينَ.

ح ـ وَدَلَالَة عَلَى رَأْفَة مُعَاوِيَة بِالرَّعِيَّةِ، وَشَفَقَته عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَقُوَّة نَظَره فِي تَدْبِير الْمُلْك، وَنَظَره فِي الْعَوَاقِب.

خ ـ والْحَدِيث دَالٌّ عَلَى أَنَّ السِّيَادَة إِنَّمَا يَسْتَحِقّهَا مَنْ يَنْتَفِع بِهِ النَّاس، لِكَوْنِهِ عَلَّقَ السِّيَادَة بِالْإِصْلَاحِ.

د ـ وَاسْتُدِلَّ بِهِ عَلَى تَصْوِيب رَأْي مَنْ قَعَدَ عَنْ الْقِتَال مَعَ مُعَاوِيَة وَعَلِيٍّ وَإِنْ كَانَ عَلِيٌّ أَحَقَّ بِالْخِلَافَةِ وَأَقْرَب إِلَى الْحَقّ، وَهُوَ قَوْل سَعْد بْن أَبِي وَقَّاص وَابْن عُمَر وَمُحَمَّد بْن مَسْلَمَةَ وَسَائِر مَنْ اِعْتَزَلَ تِلْكَ الْحُرُوب.

وَذَهَبَ جُمْهُور أَهْل السُّنَّة إِلَى تَصْوِيب مَنْ قَاتَلَ مَعَ عَلِيٍّ لِامْتِثَالِ قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ الْآيَة، فَفِيهَا الْأَمْر بِقِتَالِ الْفِئَة الْبَاغِيَة، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مَنْ قَاتَلَ عَلِيًّا كَانُوا بُغَاة،

وَهَؤُلَاءِ مَعَ هَذَا التَّصْوِيب مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا يُذَمّ وَاحِد مِنْ هَؤُلَاءِ بَلْ يَقُولُونَ اجْتَهَدُوا فَأَخْطَأُوا.

٩ـ الإخبار بفتح بيت المقدس، والوباء الذي يموت فيه كثير من الصحابة:

روى البخاري[١] عن عَوْفِ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَم فَقَالَ: (اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ: مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ[٢]، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ[٣] تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ[٤] فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا).

---

(١) البخاري كِتَاب الْجِزْيَةِ - بَاب مَا يُحْذَرُ مِنْ الْغَدْرِ (٣/ ١١٥٩ رقم ٣٠٠٥).

(٢) (مُوْتَان): بِضَمِّ الْمِيم وَسُكُون الْوَاو هو الْمَوْت الْكَثِير الْوُقُوع. (لسان العرب: ٢/ ٩٠).
(كَقُعَاص الْغَنَم)-بِضَمِّ الْعَيْن الْمُهْمَلَة وَتَخْفِيف الْقَاف وَآخِره مُهْمَلَة -: هُوَ دَاء يَأْخُذ الدَّوَابّ فَيَسِيل مِنْ أُنُوفهَا شَيْء فَتَمُوت فَجْأَة. وَقَالَ اِبْن فَارِس: الْقُعَاص: دَاء يَأْخُذ فِي الصَّدْر كَأَنَّهُ يَكْسِر الْعُنُق. وفي هذا إشارة إلى أن سبب الموت الذي يصيب الصحابة هو وباء. (معجم مقاييس اللغة لابن فارس:٥/ ١١٠ ولسان العرب:٧/ ٧٨).

(٣) (هُدْنَة)- بِضَمِّ الْهَاء وَسُكُون الْمُهْمَلَة بَعْدهَا نُون-: هِيَ الصُّلْح عَلَى تَرْك الْقِتَال بَعْد التَّحَرُّك فِيهِ. (لسان العرب: ١٣/ ٤٣٤).

(٤) (بَنِي الْأَصْفَر): هُمْ الرُّوم.

=

وروى الحاكم[1] عن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ، قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، ورسول الله ﷺ في قُبَّةٍ من أَدَم، إذ مَرَرْتُ فَسَمِعَ صوتي، فقال: «يَا عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، ادْخُلْ» فقلت: يا رسول الله، أكلي أم بعضي؟ فقال: «بَلْ كُلُّكَ» قال: فَدَخَلْتُ، فقال: «يَا عَوْفُ، اُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ».

فقلت: ما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: «مَوْتُ رَسُولِ اللهِ»، فَبَكَى عوف، ثم قال رسول الله ﷺ: «قُلْ: إِحْدَى» قلت: إِحْدَى، ثم

= وقَوْله: (غَايَة): أَيْ رَايَة، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا غَايَة الْمُتَّبِع إِذَا وَقَفَتْ وَقَفَ. وَوَقَعَ عِنْد أَبِي دَاوُدَ بسند صحيح في كتاب الجهاد - باب في صُلْح الْعَدُوّ (٣/ ٣٩ رقم ٢٧٦٩)، وفي كِتَاب الْمَلَاحِم فِي بَاب مَا يُذْكَر مِنْ مَلَاحِم الرُّوم. نَحْو هَذَا الْحَدِيث، وَفِي أَوَّله: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا آمِنًا، فَتَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ، فَتُنْصَرُونَ وَتَغْنَمُونَ وَتَسْلَمُونَ ثُمَّ تَرْجِعُونَ، حَتَّى تَنْزِلُوا بِمَرْجٍ ذِي تُلُولٍ، فَيَرْفَعُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ الصَّلِيبَ، فَيَقُولُ: غَلَبَ الصَّلِيبُ. فَيَغْضَبُ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَدُقُّهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ تَغْدِرُ الرُّومُ، وَتَجْمَعُ لِلْمَلْحَمَة) وزاد ابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ١٠٣ رقم ٦٧٠٩):«فَيَأْتُونَ تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر أَلفًا».

وَجُمْلَة الْعَدَد الْمُشَار إِلَيْهِ تِسْعمِائَةِ أَلْف وَسِتُّونَ أَلْفًا، وَلَعَلَّ أَصْلَهُ أَلْف أَلْف فَأُلْغِيَتْ كُسُوره. (فتح الباري: ٦ / ٢٧٨) بتصرف وزيادة.

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٤٦٩ رقم ٨٣٠٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال: «وَفَتْحُ بَيْتِ المَقْدِسِ، قُلْ: اثْنَيْنِ»، قلت: اثْنَيْنِ، قال: «وَمَوْتٌ يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَعُقَاصِ الغَنَمِ، قُلْ: ثَلاَثٌ» قلت: ثلاَث، قال: «وَتُفْتَحُ لَهُمُ الدُّنْيَا حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ المِائَةَ فَيَسْخَطَهَا، قُلْ: أَرْبَعٌ»، قلت: أَرْبَع، «وَفِتْنَةٌ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ المُسْلِمِينَ إِلاَّ دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَيْتَهُ، قُلْ: خَمْسٌ»، قلت: خَمْس، «وَهُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الأَصْفَرِ، يَأْتُونَكُمْ عَلَى ثَمَانِينَ غَايَةً، كُلُّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، ثُمَّ يَغْدِرُونَ بِكُمْ حَتَّى حَمْلِ امْرَأَةٍ».

قال: فلمَّا كان عامُ عَمْوَاس زَعَمُوا أن عوف بن مالك قال لِمُعَاذ بن جَبَل: إن رسول الله ﷺ، قال لِي: « اُعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ...»، فَقَدْ كَانَ مِنْهُنَّ الثَّلاثُ، وَبَقِيَ الثَّلاَثُ.

فقال مُعَاذ: إِنَّ لِهَذَا مُدَّةً، وَلَكِنْ خَمْسٌ أَظَلَّتْكُمْ، مَنْ أَدْرَكَ مِنْهُنَّ شَيْئًا ثُمَّ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَمُتْ: أَنْ يَظْهَرَ التَّلاَعُنُ عَلَى المَنَابِرِ، ويُعْطَى مَالُ الله عَلَى الكَذِبِ والبُهْتَانِ، وَسَفْكُ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَتُقْطَعَ الأَرْحَامُ، ويُصْبِحَ العَبْدُ لاَ يَدْرِي أَضَالٌّ هُوَ أَمْ مُهْتَدٍ.

فِي هذا الحديث أَشْيَاء مِنْ عَلامَات النُّبُوَّة قَدْ ظَهَرَ أَكْثَرهَا:

أـ (فتح بيت المقدس): وقع في خلافة عمر رضي الله عنه سنة ١٦ هـ.

ب ـ (مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَعُقَاصِ الْغَنَم)(١): وهَذِهِ الآيَة ظَهَرَتْ فِي طَاعُون عَمَوَاسٍ(٢) فِي خِلَافَة عُمَر سنة ١٨هـ وَكَانَ ذَلِكَ بَعْد فَتْح بَيْت المَقْدِس.

وقد اختلف في سَنَتِهِ، فقيل: سَنَة (١٧ هـ) في العام الذي ذهب عمر رضي الله عنه إلى الشام، وسَمِعَ به قد وَقَعَ، فلما أخبره عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه بالحديث رجع، وهذا ما صححه الحافظ رحمه الله تعالى.

وقيل: (سنة ١٨هـ) وهذا ما ذكره عامة المؤرخين، كخليفة، والطبري، وابن الأثير، وابن كثير رحمهم الله تعالى.

---

(١) وقول النبي ﷺ: «فيكم»: الضمير يرجع إلى الصحابة، وإن كان سيقع في غيرهم أيضًا. فأَظْهَرُ مَوْتٍ وأَشَدُّهُ وأكثرُه وَقَعَ في الصحابة في طاعون عمواس.
وممن مات فيه من الصحابة: أبو عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، ويزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، والحارث بن هشام، والفضل بن العباس ابن عم النبي ﷺ وأبو مالك الأشعري، وسهيل بن عمرو، وابنه أبو جندل، وعتبة بن سهيل، وعامر بن غيلان الثقفي، رضي الله تعالى عنهم. (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: ٣/ ١٧١).

(٢) عَمَوَاس-بِفَتْح المُهْمَلَة وَالمِيم، وَحُكِيَ تَسْكِينهَا وَآخِره مُهْمَلَة-: قرية جليلة من قرى الشام ـ في فلسطين ـ بين الرملة وبيت المقدس، على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس. (معجم البلدان: ٤/ ١٧٧).

وقد مات في هذا الطاعون بضع وعشرون ألفًا من المسلمين[1]؛ من الصحابة، وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم ورحمهم.

ت ـ (ثُمَّ اسْتِفَاضَة المَال): أَيْ كَثْرَته، وَظَهَرَتْ فِي خِلَافَة عُثْمَان عِنْد تِلْكَ الْفُتُوح الْعَظِيمَة.

ث ـ وَالْفِتْنَة الْمُشَار إِلَيْهَا اُفْتُتِحَتْ بِقَتْلِ عُثْمَان، وَاسْتَمَرَّتْ الْفِتَن بَعْده، وما بعده من الفتن المترتبة عليها لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته.

وقيل: وهي واقعة التتار، إذ لم يقع في الإسلام بل ولا في غيره مثلها. وقيل: غيرها، وهي لم تقع بعد.

وأَمَّا قِصَّة الرُّوم فَلَمْ يَجْتَمِع إِلَى الْآن، وَلَا بَلَغَنَا أَنَّهُمْ غَزَوْا فِي الْبَرّ فِي هَذَا الْعَدَد فَهِيَ مِنْ الْأُمُور الَّتِي لَمْ تَقَع بَعْدُ.

وفي الحديث: بشارة ونذارة، وذلك أنه دل على أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش.

---

(١) نقله ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ١٠٦): فقال الواقدي: خمس وعشرون ألفًا. وقال غيره: ثلاثون ألفًا. وكذا ابن الأثير في الكامل في التاريخ (١/ ٤٥٠). وتاريخ الرسل والملوك للطبري (٢/ ٥٠٩).

وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون أضعاف ما هو عليه(١).

١٠. الإخبار بفتح مصر ووَصِيَّة النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِ مِصْرَ:

روى مسلم(٢) عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا ذَرٍّ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا؛ فَإِنَّ لهمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا. فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا**)).

قَالَ: فَمَرَّ بِرَبِيعَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنَيْ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ يَتَنَازَعَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا.

وفي رواية عَنْ أَبِي بَصْرَةَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ، وَهِيَ أَرْضٌ يُسَمَّى فِيهَا الْقِيرَاطُ، فَإِذَا فَتَحْتُمُوهَا فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا. أَوْ قَالَ: ذِمَّةً وَصِهْرًا، فَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلَيْنِ يَخْتَصِمَانِ فِيهَا فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ مِنْهَا**)).

---

(١) فتح الباري (٦/ ٢٧٩)، فيض القدير (٤/ ١٢٥) بتصرف كبير.

(٢) مسلم: كتاب فضائل الصحابة – باب وَصِيَّةِ النَّبِيِّ ﷺ بِأَهْلِ مِصْرَ (٧/ ١٩٠ رقم ٦٦٥٧ و٦٦٥٨).

قَالَ: فَرَأَيْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ شُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ وَأَخَاهُ رَبِيعَةَ يَخْتَصِمَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ، فَخَرَجْتُ مِنْهَا[1].

وَفِيهِ مُعْجِزَاتٌ ظَاهِرَةٌ لِرَسُولِ الله ﷺ[2]:

أ ـ مِنْهَا: إِخْبَاره بِأَنَّ الْأُمَّة تَكُون لَهُمْ قُوَّة وَشَوْكَة بَعْده بِحَيْثُ يَقْهَرُونَ الْعَجَم وَالْجَبَابِرَة.

ب ـ وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يَفْتَحُونَ مصر[3].

ت ـ وَمِنْهَا: هذه العلامة الدقيقة، وهي تَنَازُع الرَّجُلَيْنِ فِي مَوْضِع اللَّبِنَة، وَوَقَعَ كُلّ ذَلِكَ ولله الْحَمْد.

---

(١) قَالَ الْعُلَمَاء: الْقِيرَاط: جُزْء مِنْ أَجْزَاء الدِّينَار وَالدِّرْهَم وَغَيْرهمَا، وَكَانَ أَهْل مِصْر يُكْثِرُونَ مِنْ اِسْتِعْمَاله وَالتَّكَلُّم بِهِ.
وَأَمَّا الذِّمَّة؛ فَهِيَ الْحُرْمَة وَالْحَقّ. وَأَمَّا الرَّحِم؛ فَلِكَوْنِ هَاجَرَ أُمّ إِسْمَاعِيل مِنْهُمْ. وَأَمَّا الصِّهْر؛ فَلِكَوْنِ مَارِيَة أُمّ إِبْرَاهِيم مِنْهُمْ.
وَمَعْنَى (يَقْتَتِلَانِ): يَخْتَصِمَانِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الرِّوَايَة الثَّانِيَة. (شرح النووي على مسلم: ١٦/ ٩٧).

(٢) شرح النووي على مسلم: ١٦/ ٩٧.

(٣) وقد افتتحها عمرو بن العاص في سنة عشرين أيام عمر بن الخطاب ﷺ. (تاريخ الإسلام للإمام الذهبي: ٣/ ١٩٧).

١١ـ الإخبار بِمَصَارِعِ كُفَّار مكة يوم بَدْرٍ:

روى مسلم عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ الله؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا.

قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ الله ﷺ النَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ، فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ.

فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ، فَقَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ الله ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ).

قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ). قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ: (هَاهُنَا، هَاهُنَا).

قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وَفِيهِ مُعْجِزَتَانِ مِنْ أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ[2]:

إِحْدَاهُمَا: إِخْبَاره ﷺ بِمَصْرَعِ جَبَابِرَتِهِمْ، فَلَمْ يَنْفُذ أَحَد مَصْرَعه.

الثَّانِيَة: إِخْبَاره ﷺ بِأَنَّ الْغُلَام الَّذِي كَانُوا يَضْرِبُونَهُ يَصْدُق إِذَا تَرَكُوهُ، وَيَكْذِب إِذَا ضَرَبُوهُ، وَكَانَ كَذَلِكَ فِي نَفْس الْأَمْر. وَاللهُ أَعْلَم.

١٢ـ الإخبار عن أَوَّلِ أَهْلِهِ لُحُوقًا به بعد موته ﷺ:

روى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم[3] عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ،

(١) قَوْله: (أَنْ نُخِيضهَا) يَعْنِي: الْخَيْل.
وَقَوْله: (بَرْك الْغِمَاد): مَوْضِع مِنْ وَرَاء مَكَّة بِخَمْس لَيَالٍ بِنَاحِيَةِ السَّاحِل.
قَوْله: (فَمَا مَاطَ أَحَدهمْ): أَيْ تَبَاعَدَ. (شرح النووي على مسلم: ١٢/ ١٢٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (١٢/ ١٢٦).
(٣) البخاري: كتاب المناقب – بَاب عَلَامَات النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَام (٣/ ١٣٢٦ رقم ٣٤٢٦). وكتاب الاستئذان – بَاب مَنْ نَاجَى بَيْنَ يَدَيْ النَّاس، وَمَنْ لَمْ يُخْبِرْ بِسِرِّ صَاحِبِهِ فَإِذَا مَاتَ أَخْبَرَ بِهِ (٥/ ٢٣١٧ رقم ٥٩٢٨). ومسلم: في فضائل الصحابة باب فَضَائل فاطمة بنت النبي ﷺ (٧/ ١٤٢ رقم ٦٤٦٦ - ٦٤٦٨).

ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَبَكَتْ. فَقُلْتُ لَهَا: لِمَ تَبْكِينَ؟ ثُمَّ أَسَرَّ إِلَيْهَا حَدِيثًا فَضَحِكَتْ.

فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ! فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَأَلْتُهَا فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ **((إِنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقًا بِي))**، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: **((أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ))**، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ.

هَذِهِ مُعْجِزَةٌ ظَاهِرَةٌ لَهُ ﷺ، بَلْ مُعْجِزَتَانِ[١]:

أ ـ فَأَخْبَرَ بِبَقَائِهَا بَعْده.

ب ـ وَبِأَنَّهَا أَوَّل أَهْله لِحَاقًا بِهِ، وَوَقَعَ كَذَلِكَ، وَضَحِكت سُرُورًا بِسُرْعَةِ لِحَاقِهَا.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥).

ولا شك أنها كانت أول أهله لحوقًا به ﷺ، فقد ماتت بعده ﷺ بستة أشهر على القول الراجح.

قال الحافظ[١]: وفي الحديث إخباره ﷺ بما سيقع، فوقع كما قال، فإنهم اتفقوا على أن فاطمة عليها السلام كانت أول من مات من أهل بيت النبي ﷺ بعده حتى مِنْ أزواجه.

١٣ـ الإخبار بأوَّلِ أزواجه لَحَاقًا به بعد موته ﷺ:

روى البخاري ومسلم[٢] ـ واللفظ له ـ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا)).

قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيَّتُهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلَنَا يَدًا زَيْنَبُ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا وَتَصَدَّقُ.

وروَى الْحَاكِمُ في الْمَنَاقِبِ مِنْ مُسْتَدْرَكِه[٣] عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: « قَالَ رَسُول الله ﷺ لِأَزْوَاجِهِ: ((أَسْرَعُكُنَّ لُحُوقًا بِي أَطْوَلُكُنَّ يَدًا))، قَالَتْ

(١) فتح الباري (٨/ ١٣٦).

(٢) البخاري: كتاب الزكاة - بَاب أي الصَّدقة أفضل، وصَدَقَة الشَّحيح الصَّحيح (٢/ ٥١٥ رقم ١٣٥٤). ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - باب مِنْ فَضَائِلِ زَيْنَبَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها (٧/ ١٤٤ رقم ٤٤٩٠).

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٤/ ٢٦ رقم ٦٧٧٦) من طريق إبراهيم بن الهيثم البَلَدِيّ. وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأورده الحافظ في فتح الباري (٣/ ٢٨٧) وسكت عنه. =

عَائِشَة: فَكُنَّا إِذَا اجْتَمَعْنَا فِي بَيْت إِحْدَانَا بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ الله ﷺ نَمُدُّ أَيْدِيَنَا فِي الْجِدَارِ نَتَطَاوَلُ، فَلَمْ نَزَلْ نَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تُوُفِّيَتْ زَيْنَب بِنْت جَحْش - وَكَانَتْ امْرَأَةً قَصِيرَةً، وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَنَا - فَعَرَفْنَا حِينَئِذٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّمَا أَرَادَ بِطُولِ الْيَدِ الصَّدَقَة، وَكَانَتْ زَيْنَب امْرَأَة صَنَّاعَة بِالْيَدِ، وَكَانَتْ تَدْبُغُ وَتَخْرُزُ وَتَصَدَّقُ فِي سَبِيلِ الله»[1].

= وأخرجه أيضًا:

الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٥٠) قال: حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي.

وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٥/ ٢٥٣) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ شَبِيب بْن خَالِد.

وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٢/ ٣٠٠) من طريق إبراهيم بن الهيثم البلدي.

والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٢١٠) قال حدثنا يحيى بن إسماعيل البغدادي.

جميعهم عن إِسْمَاعِيل بن أبي أُوَيْس ثنا أبي عن يحيى بن سَعِيد عن عَمْرَةَ عن عَائِشَةَ رضي الله عنها به. [تنبيه: تحرف إسماعيل في المستدرك إلى إبراهيم!].

وإِسْمَاعِيل بن أبي أُوَيْس: صدوق أخطأ في أحاديث من حفظه، كما في «التقريب» لابن حجر ص(١٠٨) وهو وإن كان شيخ البخاري وقد خرج له انتقاء ومتابعة، فإنه حسن الحديث في المتابعات والشواهد. وأما أبوه فهو عبد الله بن عبد الله بن أويس، وهو صدوق يهم، كما في «التقريب» لابن حجر ص(٣٠٩). فهو وإن روى له مسلم متابعة، ففيه كلام ينزله عن رتبة الصحيح، وهو حسن الحديث في المتابعات والشواهد.

ويشهد لهذه الرواية التي معنا حديث عائشة رضي الله عنها السابق عند البخاري ومسلم؛ فهو حديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(١) مَعْنَى الْحَدِيث أَنَّهُنَّ ظَنَنَّ أَنَّ الْمُرَاد بِطُول الْيَد طُول الْيَد الْحَقِيقِيَّة، وَهِيَ الْجَارِحَة، فَكُنَّ يَذْرَعْنَ أَيْدِيهنَّ بِقَصَبَة، فَكَانَتْ سَوْدَةُ أَطْوَلهنَّ جَارِحَة، وَكَانَتْ زَيْنَب أَطْوَلهنَّ يَدًا فِي الصَّدَقَة وَفِعْل الْخَيْر، فَمَاتَتْ زَيْنَب أَوَّلهنَّ، فَعَلِمُوا أَنَّ الْمُرَاد طُول الْيَد فِي الصَّدَقَة وَالْجُود. قَالَ أَهْل اللُّغَة: يُقَال: فُلَان طَوِيل الْيَد، وَطَوِيل الْبَاع، إِذَا كَانَ سَمْحًا جَوَادًا، وَضِدّه قَصِير الْيَد وَالْبَاع، وَجَدّ الْأَنَامِل. (شرح النووي على مسلم: ١٦/ ٨).

فِي الحَدِيثِ عَلَم مِنْ أَعْلَام النُّبُوَّة ظَاهِر، وَفِيهِ مُعْجِزَة بَاهِرَة لِرَسُولِ الله ﷺ، وَمَنْقَبَة ظَاهِرَة لِزَيْنَب، وقد تُوفيت زينب رضي الله عنها سنة ٢٠هـ، في خلافة عمر رضي الله عنه، وكانت أول نساء النبي ﷺ وفاة بعده.

وَرَوَى ابْن سَعْد[1] عن بَرْزَة [كذا!] بِنْت رَافِع قَالَتْ: «لَمَّا خَرَجَ الْعَطَاء، أَرْسَلَ عُمَر إِلَى زَيْنَب بِنْت جَحْش بِالَّذِي لَهَا، فَتَعَجَّبَتْ وَسَتَرَتْهُ بِثَوْب وَأَمَرَتْ بِتَفْرِقَتِهِ، إِلَى أَنْ كُشِفَ الثَّوْب فَوَجَدَتْ تَحْتَهُ خَمْسَة وَثَمَانِينَ

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٠٠ - ٣٠١ و٨/ ١٠٩ - ١١٠) عن يزيد بن هارون وعبد الوهاب بن عطاء. وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦/ ٣٢٢٤ رقم٧٤٢٥) من طريق يزيد وعبد الأعلى. واللالكائي في «اعتقاد أهل السنة» (٧/ ٣٤ رقم ٢٤٣٩) من طريق يزيد ابن هارون. وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٥٤) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى. وابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (ص٨٥). جميعهم عن محمد بن عمرو، قال: حدثني يزيد بن خصيفة، عن عبد الله بن رافع، عن برزة (كذا! والصواب:برة) بنت رافع به. [تنبيه: تحرف اسم «برزة» في «مجابو الدعوة» إلى: «بدرة»! وورد في «الحلية» على الجادة: «برة» كما في الإكمال لابن ماكولا (١/ ٢٥٣) باب (برة) بفتح الباء والراء، وذكر فيه: برة بنت رافع مولى أم سلمة، حدثت عن زينب بنت جحش، وحدث عنها أخوها عبد الله.اهـ وذكرها الحافظ في «الإصابة» (٧/ ٥٤١) في القسم الثالث من حرف الباء وهم الذين لم تثبت لهم الصحبة.
ولم أجد من ترجمها فهي مجهولة العين؛ حيث تفرد بالرواية عنها أخوها وحده؛ وعلى ذلك فالرواية سندها ضعيف. وإن كان مضمونها مما يشهد له حديث عائشة السابق في كثرة صدقة زينب رضي الله عنها. والله أعلم
وفي الطبقات(٣/ ٣٠٠) لابن سعد قال: أخبرنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة: أن عطاء عمر لأزواج النبي ﷺ في اثني عشر ألف درهم. وهذا إسناد حسن لأجل محمد بن عمرو الليثي فهو حسن الحديث كما يظهر من ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٩/ ٣٢٣).

دِرْهَمًا، ثُمَّ قَالَتْ: اللهمَّ لَا يُدْرِكُنِي عَطَاء لِعُمَرَ بَعْدَ عَامِي هَذَا، فَمَاتَتْ فَكَانَتْ أَوَّل أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لُحُوقًا بِهِ».

١٤ـ إخباره ﷺ عن أُولَى الغزوات البَحْرِيَّة الإسلامية وما فيها من أحداث:

روى البخاري ـ واللفظ له ـ ومسلم[1] عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك ﷺ أَنَّهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا ذَهَبَ إِلَى قُبَاءٍ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَام بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ ـ وَكَانَتْ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ، فَنَامَ رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، قَالَتْ: فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله؟

فَقَالَ: ((نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ الله، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الْأَسِرَّةِ ـ أَوْ قَالَ: مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ))، قُلْتُ: ادْعُ الله أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ، فَدَعَا، ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ يَضْحَكُ، فَقُلْتُ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ الله؟

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير بَاب الدُّعَاءِ بِالْجِهَادِ وَالشَّهَادَةِ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ (٣/ ١٠٢٧ ٢٦٣٦). وبَاب فَضْلِ مَنْ يُصْرَعُ فِي سَبِيلِ الله فَمَاتَ فَهُوَ مِنْهُمْ (٣/ ١٠٣٠ رقم ٢٦٤٦). وبَاب غَزْوِ الْمَرْأَةِ فِي الْبَحْرِ (٣/ ١٠٥٥ رقم ٢٧٢٢). بَاب رُكُوبِ الْبَحْرِ (٣/ ١٠٦٠ رقم ٢٧٣٧). بَاب مَنْ زَارَ قَوْمًا فَقَالَ عِنْدَهُمْ، وبَاب الرُّؤْيَا بِالنَّهَارِ (٥/ ٢٣١٦ رقم ٥٩٢٦). ومسلم في الإمارة باب فَضْلِ الْغَزْوِ فِي الْبَحْرِ (٦/ ٤٩ رقم ٥٠٤٣ – ٥٠٤٦).

قَالَ: ((نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ - أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ -))، فَقُلْتُ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ؟ قَالَ: ((أَنْتِ مِنْ الأَوَّلِينَ))، فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ[1].

وروى البخاري[2] عن أم حَرَام أَنَّهَا سَمِعَتْ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ الْبَحْرَ قَدْ أَوْجَبُوا))، قَالَتْ أُمُّ حَرَامٍ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَنَا فِيهِمْ؟ قَالَ: ((أَنْتِ فِيهِمْ))، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((أَوَّلُ جَيْشٍ مِنْ أُمَّتِي يَغْزُونَ مَدِينَةَ قَيْصَرَ مَغْفُورٌ لَهُمْ))، فَقُلْتُ: أَنَا فِيهِمْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: ((لَا)).

---

(١) الثَّبَج؛ بِفَتْحِ الْمُثَلَّثَة وَالْمُوَحَّدَة ثُمَّ جِيم: ظَهْر الشَّيْء. وَالْمُرَاد أَنَّهُمْ يَرْكَبُونَ السُّفُن الَّتِي تَجْرِي عَلَى ظَهْره. وَلَمَّا كَانَ جَرْي السُّفُن غَالِبًا إِنَّمَا يَكُون فِي وَسَطه؛ قِيلَ: الْمُرَاد وَسَطه وَإِلَّا فَلَا اخْتِصَاص لِوَسَطِهِ بِالرُّكُوب.

الْوَقْت الَّذِي رَكِبَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ الْبَحْر لِلْغَزْوِ أَوَّلًا كَانَ فِي سَنَة ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي خِلَافَة عُثْمَان بقيادة مُعَاوِيَة بن أبي سفيان وكان يَوْمَئِذٍ أَمِير الشَّام. ثم غزا المسلمون البحر ثانية، وفتحوا القسطنطينية.

وَجَزَمَ جَمَاعَة بِأَنَّ قَبْرهَا بِجَزِيرَةِ قُبْرُس، فَقَالَ اِبْن حِبَّان بَعْد أَنْ أَخْرَجَ الْحَدِيث مِنْ طَرِيق اللَّيْث بْن سَعْد بِسَنَدِهِ: «قَبْر أُمّ حَرَام بِجَزِيرَةٍ فِي بَحْر الرُّوم يُقَال لَهَا: «قُبْرُس» بَيْن بِلَاد الْمُسْلِمِينَ وَبَيْنهَا ثَلَاثَة أَيَّام».

وَجَزَمَ اِبْن عَبْد الْبَرّ بِأَنَّهَا حِين خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْر إِلَى جَزِيرَة قُبْرُس قُرِّبَتْ إِلَيْهَا دَابَّتُهَا فَصَرَعَتْهَا.

ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٨ / ٢٦) والبداية والنهاية (١٠/ ٢٢٨).

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير - بَاب مَا قِيلَ فِي قِتَالِ الرُّوم (٣/ ١٠٦٩ رقم ٢٧٦٦).

فِي هذا الحديث ضُرُوب مِنْ أَخْبَار النَّبِيِّ ﷺ بِمَا سَيَقَعُ فَوَقَعَ كَمَا قَالَ، وَذَلِكَ مَعْدُود مِنْ عَلَامَات نُبُوَّته:

أ ـ مِنْهَا: إِعْلَامه بِبَقَاءِ أُمَّته بَعْده.

ب ـ وَأَنَّ فِيهِمْ أَصْحَاب قُوَّة وَشَوْكَة وَنِكَايَة فِي الْعَدُوّ.

ت ـ وَأَنَّهُمْ يَتَمَكَّنُونَ مِنْ الْبِلَاد حَتَّى يَغْزُوا الْبَحْر.

ث ـ وَأَنَّ أُمَّ حَرَام تَعِيش إِلَى ذَلِكَ الزَّمَان، وَأَنَّهَا تَكُون مَعَ مَنْ يَغْزُو الْبَحْر، وَأَنَّهَا لَا تُدْرِكُ زَمَان الْغَزْوَة الثَّانِيَة.

قال الحافظ ابن كثير[1]: وفيه من دلائل النبوة ثلاث:

إحداها: الإخبار عن الغزوة الأولى في البحر، وقد كانت في سنة سبع وعشرين مع معاوية بن أبي سفيان، حين غزا قبرص وهو نائب الشام عن عثمان بن عفان، وكانت معهم أم حرام بنت ملحان هذه صُحْبَةَ زوجها عبادة بن الصامت، أحد النقباء ليلة العقبة، فتوفيت مرجعهم من الغزو بقبرص سنة سبع وعشرين.

والغزوة الثانية غزوة قسطنطينية مع أول جيش غزاها، وكان أميرها يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وذلك في سنة ثنتين وخمسين، وكان معهم أبو أيوب، خالد بن زيد الأنصاري، فمات هنالك ﷺ وأرضاه.

(١) البداية والنهاية (٩/ ٢١٧) بتصرف يسير.

ولم تكن هذه المرأة معهم، لأنها كانت قد توفيت قبل ذلك في الغزوة الأولى.

فهذا الحديث فيه ثلاث آيات من دلائل النبوة، الإخبار عن الغزوتين، والإخبار عن المرأة بأنها من الأولين وليست من الآخرين، وكذلك وقع كما أخبر. صلوات الله وسلامه عليه. اهـ.

الثاني: مَا وَقَعَتْ مَبَادِيه وَلَمْ يَسْتَحْكِمْ من الغيبيات:

١ـ خروج الدجالين وأدعياء النبوة:

روى البخاري ومسلم ـ واللفظ له ـ[1] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**))[2].

---

(١) البخاري: في كتاب المناقب – بَاب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٣/ ١٣٢٠ رقم ٣٤١٣). وكتاب الفتن – بَاب خُرُوجِ النَّارِ (٦/ ٢٦٠٥ رقم ٦٧٠٤). ومسلم في الفتن وأشراط الساعة – باب لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ مَكَانَ الْمَيِّتِ مِنَ الْبَلاَءِ (٨/ ١٨٩ رقم ٧٥٢٦).

(٢) قَوْله: (حَتَّى يُبْعَث)؛ بضَمّ أَوَّله: أَيْ يَخْرُج، وَلَيْسَ الْمُرَاد بِالْبَعْثِ مَعْنَى الْإِرْسَال الْمُقَارِن لِلنُّبُوَّةِ، بَلْ هُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾. ولعل التعبير بالبعث لزعمهم أنهم رسل، ففيه مشاكلة تقديرية استهزاء بهم، ويحتمل أن الشيطان يبعثهم، فهم رسل الشيطان.

قَوْله: (دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ): الدَّجْل التَّغْطِيَة وَالتَّمْوِيه، وَيُطْلَق عَلَى الْكَذِب أَيْضًا، فَعَلَى هَذَا «كَذَّابُونَ» تَأْكِيد. (فتح الباري:٦/ ٦١٧).

وفي رواية[١]: ((إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)).

قال الحافظ في «الفتح»[٢]: وَقَدْ ظَهَرَ مِصْدَاق ذَلِكَ فِي آخِر زَمَن النَّبِيِّ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَة بِالْيَمَامَةِ، وَالْأَسْوَد الْعَنْسِي بِالْيَمَنِ، ثُمَّ خَرَجَ فِي خِلَافَة أَبِي بَكْر طُلَيْحَة بْن خُوَيْلِد فِي بَنِي أَسَد بْن خُزَيْمَةَ، وَسَجَاح التَّمِيمِيَّة فِي بَنِي تَمِيم، وَفِيهَا يَقُول شَبِيب بْن رِبْعِيّ وَكَانَ مُؤَدِّبَهَا:

أَضْحَتْ نَبِيَّتنَا أُنْثَى نُطِيف بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاء النَّاس ذُكْرَانًا

وَقُتِلَ الْأَسْوَد قَبْل أَنْ يَمُوت النَّبِيُّ ﷺ، وَقُتِلَ مُسَيْلِمَة فِي خِلَافَة أَبِي بَكْر، وَتَابَ طُلَيْحَة وَمَاتَ عَلَى الْإِسْلَام، عَلَى الصَّحِيح فِي خِلَافَة عُمَر، وَنُقِلَ أَنَّ سَجَاح أَيْضًا تَابَتْ، وَأَخْبَار هَؤُلَاءِ مَشْهُورَة عِنْد الْإِخْبَارِيِّينَ.

ثُمَّ كَانَ أَوَّل مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ الْمُخْتَار بْن أَبِي عُبَيْد الثَّقَفِيّ، غَلَبَ عَلَى الْكُوفَة فِي أَوَّل خِلَافَة اِبْن الزُّبَيْر، فَأَظْهَرَ مَحَبَّة أَهْل الْبَيْت، وَدَعَا النَّاس

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: بَاب ذِكْرِ الْفِتَنِ وَدَلَائِلِهَا (٤/ ١٥٧ رقم ٤٢٥٤). وَالتِّرْمِذِيّ: بَاب مَا جَاءَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ كَذَّابُونَ (٤/ ٤٩٩ رقم ٢٢١٩). وأحمد: (٣٧/ ٧٩ رقم ٢٢٣٩٥). وابْن حِبَّان (١٦/ ٢٢٠ رقم ٧٢٣٨). والحاكم (٤ / ٤٩٦ رقم ٨٣٩٠) جزءًا من حديث. وقال الترمذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذه السياقة. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني والأرناؤوط.

(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٧) بتصرف.

إِلَى طَلَب قَتَلَة الْحُسَيْن، فَتَبِعَهُمْ فَقَتَلَ كَثِيرًا مِمَّنْ بَاشَرَ ذَلِكَ أَوْ أَعَانَ عَلَيْهِ، فَأَحَبَّهُ النَّاس، ثُمَّ زَيَّنَ لَهُ الشَّيْطَان أَنْ ادَّعَى النُّبُوَّة وَزَعَمَ أَنَّ جِبْرِيل يَأْتِيه، فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيّ[1] بِإِسْنَادٍ صَحِيح عَنْ رِفَاعَة بْن شَدَّاد قَالَ: «كُنْت أَبْطَنَ شَيْء بِالْمُخْتَارِ، فَدَخَلْت عَلَيْهِ يَوْمًا فَقَالَ: دَخَلْتَ وَقَدْ قَامَ جِبْرِيل قَبْل مِنْ هَذَا الْكُرْسِيّ».

وَرَوَى يَعْقُوب بْن سُفْيَان بِإِسْنَادٍ حَسَن عَنْ الشَّعْبِيّ أَنَّ الْأَحْنَف بْن قَيْس أَرَاهُ كِتَاب الْمُخْتَار إِلَيْهِ يَذْكُر أَنَّهُ نَبِيّ.

وَقُتِلَ الْمُخْتَار سَنَة بِضْع وَسِتِّينَ.

وَمِنْهُمْ الْحَارِث الْكَذَّاب، خَرَجَ فِي خِلَافَة عَبْد الْمَلِك بْن مَرْوَان فَقُتِلَ.

وَخَرَجَ فِي خِلَافَة بَنِي الْعَبَّاس جَمَاعَة. اهـ.

وظهر في العصر الحديث ميرزا أحمد القادياني بالباكستان وادعى النبوة، بل ادعى أنه المسيح الموعود، وله ضلالات كثيرة، وأتباعه يعرفون بـ: «القاديانية» أو: «الأحمدية»، وألَّف العلماء فيه كتبًا بينوا فيها كذبه وتدليسه وكفره.

---

(١) الطيالسي في «مسنده» (ص ١٨١ رقم ١٢٨٦). والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩ / ١٤٢ رقم ١٨٨٨٩).

وكذلك خرج علينا علي محمد الشيرازي الملقب بباب المهدي في إيران، والذي كان من أتباعه حسين علي الملقب ببهاء الله، وهذا الأخير قد ادعى إلغاء الأديان، واعتبر نفسه مَظهر الله الحقيقي الذي بشر به جميع الأنبياء، وأدعياء هذه الفرقة تعرف بـ: «البابية» و«البهائية»، وهي من المذاهب الهدامة المستغلَّة من أعداء الأمة[١].

ومن هؤلاء الكذابين أربع نسوة، كما روى أحمد والطبراني في «الكبير» والطحاوي في «المشكل»[٢] عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ قَالَ: ((فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ وَدَجَّالُونَ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)).

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (ص:٦١ و٣٨٧).

(٢) أحمد في مسنده (٣٨/ ٣٨٠ رقم ٢٣٣٥٨) عن علي بن المديني. والطبراني في «الكبير» (٣/ ١٦٩ رقم ٣٠٢٦) عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، عن علي بن عبد الله بن المديني. وفي «الأوسط» (٥/ ٣٢٧ رقم ٥٤٥٠). من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعرة. والطحاوي في «المشكل» (٧/ ٣٩٧ رقم ٢٩٥٣) من طريق إبراهيم بن محمد بن عرعرة. كلاهما - ابن المديني، وابن عرعرة - عن مُعَاذ بْن هِشَام، عَنْ أَبِيه، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ [زياد بن كليب]، عَنْ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيِّ، عَنْ هَمَّام، عَنْ حُذَيْفَةَ، به. وصححه الأرناؤوط، والألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ٧٨٢ رقم ٤٢٥٨) وليس كما قالا؛ فإن قتادة وإن كان ثقة إلا أنه مدلس ولم يصرح بالسماع، وقد ذكره الحافظ في المرتبة الثالثة من طبقات المدلسين، وَهُمْ مَنْ أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع. ومُعَاذ بْن هِشَام مختلف فيه بين صدوق وثقة، فلأجل ذلك الخلاف جَوَّدَ الحافظ الإسناد، رغم عنعنة قتادة!! والله أعلم.

جَوَّدَهُ الحافظ في «الفتح»[١] وقال: (وَهَذَا يَدُلّ عَلَى أَنَّ رِوَايَة الثَّلَاثِينَ بِالْجَزْمِ عَلَى طَرِيق جَبْر الْكَسْر، وَيُؤَيِّدهُ قَوْله فِي حَدِيث الْبَاب: «قَرِيب مِنْ ثَلَاثِينَ»).

وَلَيْسَ الْمُرَاد بِالْحَدِيثِ مَنْ ادَّعَى النُّبُوَّة مُطْلَقًا[٢] فَإِنَّهُمْ لَا يُحْصَوْنَ كَثْرَة لِكَوْنِ غَالِبهمْ يَنْشَأ لَهُمْ ذَلِكَ عَنْ جُنُون أَوْ سَوْدَاء وَإِنَّمَا الْمُرَاد مَنْ قَامَتْ لَهُ شَوْكَة وَبَدَتْ لَهُ شُبْهَة كَمَنْ وَصَفْنَا، وَقَدْ أَهْلَكَ الله تَعَالَى مَنْ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ مِنْهُمْ، وَبَقِيَ مِنْهُمْ مَنْ يُلْحِقهُ بِأَصْحَابِهِ، وَآخِرهمْ الدَّجَّال الْأَكْبَر.

٢ـ كثرة الزراعة بصحراء العرب:

روى مسلم[٣] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: ((**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا**)).

وقد ظهر بدايات الزراعة بصحراء العرب وزاد ذلك وكثر في زماننا ولا يزال آخذٌ في النمو والازدياد. وسوف يكون الأمر في المستقبل إن شاء الله على وفق ما قاله النبي ﷺ.

---

(١) فتح الباري (١٣ / ٨٧).
(٢) فتح الباري (٦/ ٦١٧).
(٣) مسلم: كتاب الزكاة – باب التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لاَ يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا (٣/ ٨٤ رقم ٢٨٣٦).

وهذه مقتطفات من بحث موسع على الموقع الإلكتروني للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة[١] والتي نصت على الآتي بعد:

والمعنى الظاهر للحديث: أن صحراء شبه الجزيرة العربية ستغطيها المروج - أي المراعي - والأنهار، في آخر الزمان قبل قيام الساعة، وقوله: «حتى تعود» يدل على أنها كانت كذلك في وقت سابق، وأنها ستعود إلى حالتها الأولى، وأن طبيعتها الصحراوية الجافة هي حالة طارئة عليها.

فالحديث في الواقع يتضمن حقيقة ونبوءة وإعجازًا خبريًا وآخر علميًا.

فالحقيقة: أن شبه الجزيرة العربية كانت في الماضي أرضًا ذات مراع وأنهار، ثم طرأت عليها الحالة الصحراوية الراهنة..

والمعجزة الإخبارية: أن الأنهار والمسطحات الخضراء ستعود ثانية إلى شبه الجزيرة العربية في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

وتؤكد المكتشفات العلمية الحديثة ما قاله النبي ﷺ في هذا الحديث المعجز، من أن شبه الجزيرة العربية لم تكن صحراء بالمعنى المتعارف عليه حاليًا، بل كانت أرضًا خضراء تتدفق فيها الأنهار، وتترقرق في بعض

---

(١) http://www.nooran.org/O/6/6O(5).htm. أعد هذا البحث: المهندس/ جمال عبد المنعم الكومي.

نواحيها البحيرات الواسعة، وتنهض في ما أصبح بادية بعد ذلك ـ مدن على حظ كبير من التقدم الزراعي والحرفي.

وقد أجريت حديثًا دراسة مشابهة لشبه الجزيرة العربية، حيث أظهرت الصور الجوية وجود مجرى لنهر قديم عملاق يخترق شبه الجزيرة العربية من الغرب ويتجه إلى الشرق، ناحية الكويت، ويختفي مجرى هذا النهر تحت كميات هائلة من الكثبان الرملية، وأوضحت الصور أيضًا أن مساحة شاسعة من شمال غرب الكويت عبارة عن دلتا لهذا النهر العملاق.

ويشير هذا الكشف ـ كما ذكر الدكتور فاروق الباز (جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢٧/ ٣/ ١٩٩٣ في تحقيق أجري مع الدكتور فاروق الباز، عالم الجيولوجيا والفضاء المصري المقيم بأمريكا) ـ إلى وجود كميات هائلة من المياه الجوفية في مسار النهر القديم.

وهكذا تؤكد كل الشواهد والبراهين العلمية والتاريخية أن الحقائق الواردة في حديث النبي ﷺ صحيحة ثابتة، قالها ﷺ قبل أربعة عشر قرنًا من الزمان، ولم يكن ثمة أجهزة تنقيب أو تصوير فضائي. وإنما كان هناك الوحي. ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

ويتضمن هذا الحديث النبوي الشريف - إلى جانب الحقيقة العلمية المبهرة والمعجزة، والتي أثبتها البحث العلمي الحديث، والمتعلقة بمناخ شبه الجزيرة العربية منذ آلاف السنين- يتضمن أيضًا نبوءة علمية عجيبة وغريبة أخرى، ألا وهي: عودة الصورة الأصلية القديمة لشبه الجزيرة العربية.. أمطار غزيرة، وأنهار جارية، ومراع ومساحات خضراء وارفة!!

ويعتقد البعض أن ما قاله النبي ﷺ قد تحقق الآن في شبه الجزيرة العربية، نتيجة لاكتشاف مياه جوفية بكميات كبيرة تدفق منها العديد من الآبار والعيون الجارية (يميز الباحثون بين نوعين من المياه الجوفية: مياه سطحية بالطبقات العليا التي لا يزيد عمقها عن بضع عشرات من الأمتار تحت الأرض، وهي حصيلة الأمطار والسيول الراهنة، وأخرى بالطبقات العميقة على بعد مئات الأمتار أسفل السطح، وهي مدخرة من عصور جيولوجية ماضية.. وفي شبه الجزيرة العربية توجد خزانات جوفية عميقة (أي أنها مدخرة من العصور المطيرة في الماضي البعيد) تحت مساحات شاسعة من أرض الصحراء تقدر بنصف المساحة الكلية.

ففي بعض مناطق تبوك أنزلت آبار ناجحة على عمق ٨٠٠م، وفي القصيم تحفر الآبار ألف متر، وفي الجوف وسكاكا بشمال السعودية

فجرت مياه الخزان الجوفي العميق منذ سنوات حيث أنزلت الآبار نحو ٨٥٠م تحت السطح، فاندفعت المياه ساخنة بضعة أمتار إلى أعلى.. (بتصرف من: جغرافية الصحارى العربية، ص ١٨٥. ١٩٢. ١٩٣))، مما مكن ـ وباستخدام التكنولوجيا الحديثة في الزراعة ـ من استصلاح مساحات شاسعة من الأراضي الصحراوية وزراعتها.

ويتوقع «هال ماكلور»الجيولوجي الأمريكي ـ في رسالة دكتوراه عن الربع الخالي ـ عودة البحيرات إلى صحراء شبه الجزيرة العربية، فقد لاحظ في تموز (يوليو) ١٩٧٧م سقوط أمطار شبه موسمية على امتداد ثلاثة أسابيع في شمال الربع الخالي، ولم ينتج عن ذلك تشكل بحيرات جديدة، ولكن ـ على حد قوله ـ «إذا تكرر هذا الأمر وبقوة كافية لتكوين بحيرات فقد يكون ذلك مؤشرًا على عودة الأمطار الموسمية إلى الربع الخالي ومعها انقلاب في المناخ (آفاق علمية، عدد (٢٤)، ص: ١٥).

٣ـ إخباره ﷺ بظهور منكري السُّنة:

روى أحمد أبو داود والترمذي وابن ماجه[١] عَنْ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **((أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ،**

(١) سبق تخريجه هامش (٢) ص(٣١).

أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانُ عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنْ السَّبُعِ، وَلَا لُقَطَةُ مُعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَلَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ)).

وفي رواية الترمذي وأحمد: ((أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ)).

وقد وقع مصداق ما أخبر به عليه الصلاة والسلام فوجد قديماً وحديثًا من يدعو إلى الاقتصار على القرآن، ويقلل من شأن السُّنّة وأهميتها، ويطعن في نقلها وحملتها وعلمائها وأهلها.

وظهرت في هذه الأيام جماعة يسمون أنفسهم (القرآنيون!!)، يقرءون القرآن الكريم وينكرون السُّنة النبوية بالكلية، والحق أنهم منكرون للقرآن الكريم قبل إنكار السُّنة؛ فمنكر السُّنة منكر للقرآن بلا ريب؛ إذ كيف يصلي وكم صلاة يصليها، وما أركان الصلاة، وما سننها ومبطلاتها؟ وكيف يزكي وكيف يصوم وكيف يحج؟!

وأنكر بعض المعاصرين السنة القولية، وأقر السنة العملية.

وأنكر بعض المعاصرين ممن ليس لهم اختصاص بالسُّنة أحاديث الشفاعة، وأوَّلوا الآيات القرآنية الصريحة في الشفاعة، والبعض الآن يتكئ على أريكته وينفخ أوداجه ثم يُضَعِّف.

وبَعْدُ، فالنماذج على الإعجاز الغيبي في السُّنة النبوية كثيرة جدًّا، ونكتفي منها بهذا القدر، على رجاء أن نفرد مصنفًا يأتي على رَصْدِ الغيبيات بأقسامها الثلاثة، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، سائلًا الله تعالى التوفيق والسداد.




الخاتمة

الخاتمة

١ـ قد كشف هذا البحث عن بعض الغيبيات التي أخبر عنها النبي ﷺ ووقعت كما أخبر، وكانت من دلائل صدقه عليه الصلاة والسلام.

وهذا تأييد الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ حتى يؤكد للناس أن هذا الدين هو الدين الحق، وأن محمدًا ﷺ هو بحق رسول الله.

٢ـ وقد ظهرت هذه الأخبار الغيبية التي أخبر بها الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد أو على لسان رسوله ﷺ في مُدَدٍ متفاوتة:

فمنها التي ظهرت خلال حياة رسول الله ﷺ.

ومنها ما ظهر في حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومنها ما ظهر في زمن التابعين.

ومنها ما ظهر في القرون المتأخرة حتى وقتنا الحالي.

ومازالت هذه الأحداث تتوالى تمامًا كما أخبر بها رسول الله ﷺ، بدقة شديدة، وإحكام يثير الدهشة، كأنه رآها رأي العين ﷺ، وليس

بعد ذلك دليل على أن هذا العلم هو الوحي، الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ.

٣ـ من وجوه الإعجاز في السنة النبوية أنها اشتملت على أخبار كثيرة من الغيوب التي لا علم لمحمد ﷺ بها، ولا سبيل لبشر مثله أن يعلمها، وهذا مما يدل على أن السنة وحي الله ـ تعالى ـ إلى نبيه ﷺ.

والإخبار بالغيوب أنواع:

النوع الأول: غيوب الماضي: وتتمثل في القصص الرائعة وجميع ما أخبر الله به عن ماضي الأزمان.

النوع الثاني: غيوب الحاضر: أخبر الله رسوله ﷺ بغيوب حاضرة، ككشف أسرار المنافقين، والأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين، أو غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأطلع عليه رسوله ﷺ.

النوع الثالث: غيوب المستقبل: أخبر الله رسوله ﷺ بأمور لم تقع، ثم وقعت كما أخبر، فدل ذلك على أن القرآن كلام الله، وأن محمدًا ﷺ رسول الله.

٤ـ إن الأوضاع التي أعلنت فيها السُنة النبوية هذه النبوءات والأوضاع التي تحققت فيها، كل ذلك معجزة من دون شك، وإن هذه النبوءات تشتمل على ناحيتين من الإعجاز:

أولاها: العلم بتلك الحوادث والوقائع الخطيرة التي لا تدرك بالقياس ولا بالحنكة والتجربة في الظروف التي لا تساعد على النبوءة بمثل ذلك إطلاقًا.

والثانية: هي تَحَقُّقُهَا ووقوعها حسب إعلان النبوءة وحسب ذلك العلم تحققا يشهده الناس.

٥ـ في ضوء ما أسلفنا من الحقائق الواضحة وغيرها مما لم نتعرض له، تتجلى السُّنة النبوية حية غضة دائمة النضارة والبقاء، لا تبلى جدتها، ولا يؤثر عليها الماضي والحال، والقديم والجديد، إنها فوق التطورات وفوق الأحداث، وإنها لتخاطب كل فترة من فترات التاريخ، وكل مدنية من مدنيات الأرض، وإن دعوتها حية طرية ورسالتها غضة نضرة، إنها صورة النبي ﷺ الناطقة، ومرآة النبوة الوضيئة الصافية، ولقد قال النبي ﷺ بحق: ((إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا

وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ))[١]، ولا يحيل النبي ﷺ الناس في كل زمان إلى السُّنة عند الاختلاف إلا وهي متجددة العطاء لكل عصر بما يناسبه.

٦ـ يمكن أن تتصادم المعلومات البشرية والمعارف البشرية، وقد تصادمت، وسيكون منها حق ومنها باطل، ويمكن أن تكون كلها باطلة لا أساس لها من الواقعية والصحة، ولكن من المستحيل واقعًا وأساسًا أن تتصادم الحقائق والتصريحات النبوية، والعلوم والمعارف التي احتوى عليها هذه السنة النبوية، إن كل علم يصادم السُّنة ليس علمًا، إنما هو خرافة ووهم وحلم.

٧ـ وهذا الإعجاز الغيبي في السنة النبوية يزيدنا إيمانًا:

بأن علم الله تبارك وتعالى محيط.

بأن محمدًا رسول الله ﷺ.

بأن السنة من وحي الله تعالى إلى رسوله ﷺ.

وبصحة السنة النبوية وثبوتها.

❁ ❁ ❁

(١) صحيح: أخرجه أبو داود في كتاب السنة - باب في لُزُومِ السُّنَّةِ (٤/ ٣٢٨ رقم ٤٦٠٩).

أهم المراجع

- القرآن الكريم. تنزيل من رب العالمين.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. للحافظ أحمد ابن أبي بكر ابن إسماعيل البوصيري. طبعة دار الوطن. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- اتّخاذ السّنّة النّبويّة إلى جانب القرآن الكريم أساسًا لشؤون الحياة والحكم في المملكة العربية السعودية. إعداد: د/ عبد الرحيم بن محمد المغذّوي. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
- الآحاد والمثاني. أحمد بن عمرو بن الضحاك، أبو بكر الشيباني. تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة. دار الراية – الرياض. ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- الإحكام في أصول الأحكام. أبو محمد علي بن أحمد الشهير بابن حزم. تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار الكتب العلمية – بيروت. ط١، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.
- الإسلام على مفترق الطرق. تأليف: محمد أسد (ليوبولد فايس النمساوي). ترجمة: عمر فروخ. دار العلم للملايين، ١٩٨٧م.
- إعجاز القرآن الكريم. للشيخ صالح بن عبد العزيز. مجموعة دروس مفرقة على موقع المكتبة الشاملة الإلكتروني .http: //www.shamela.ws
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية. لأديب الإسلام مصطفى صادق الرافعي. المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- الإعجاز العلمي في السنة النبوية، د/ صالح بن أحمد رضا. مكتبة العبيكان - الرياض. ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- الإعجاز في القرآن الكريم. إعداد الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبار هوساي على موقع جامعة الملك فهد للبترول والمعادن: .http: //ocw.kfupm.edu.sa

- البداية والنهاية. الحافظ عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي. تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي - لبنان - بيروت. ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- تجربتي مع الإعجاز العلمي في السنة النبوية. للدكتور صالح أحمد. بحث قدم لندوة «عناية المملكة العربية السعودية بالسنة والسيرة» أقامها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤٢٤هـ.

- الترغيب والترهيب من الحديث الشريف. عبد العظيم بن عبد القوي المنذري. دار الكتب العلمية - بيروت ط١، ١٤١٧هـ. تحقيق: إبراهيم شمس الدين.

- تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.تحقيق: سامي بن محمد سلامة. الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩ م.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر بن عاصم القرطبي. تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري. مؤسسة قرطبة.

- تيسير اللطيف الخبير في علوم حديث البشير النذير. لشيخنا الجليل أ.د/ مروان محمد مصطفى شاهين. مطابع حلبي لطباعة الأوفست - دمنهور. ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

- جامع الأصول في أحاديث الرسول. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان. ط١. ١٣٨٩ هـ/ ١٣٩٢هـ-١٩٦٩م/ ١٩٧٢م.

- الجامع الصحيح المختصر المسمى صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري. دار ابن كثير، اليمامة - بيروت. ط٣ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم. مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار الجيل بيروت ودار الآفاق الجديدة ـ بيروت.
- الحديث والمحدثون. العلامة الدكتور/ محمد محمد أبو زهو. مطبعة مصر. ط١، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى. للدكتور سعيد بن وهف القحطاني. دار الإيمان – الإسكندرية.
- خصائص التفسير الباديسي، لخالد توفيق، في مجلة الحياة الطيبة ـ بيروت ـ المجلد٤ ـ العدد٣ ـ لسنة٢٠٠٣.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. قرأه وصححه محمد حسين العرب. دار الفكر – بيروت.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة. محمد ناصر الدين الألباني. مكتبة المعارف للنشر ولتوزيع – الرياض. ١٤٢٥هـ ـ ١٩٩٥م.
- السنة المطهرة والتحديات. أد/ نور الدين عتر. دار المكتبي – دمشق – سوريا.ط١، هـ ١٤١٩ ـ ١٩٩٩م.
- سنن أبي داود. أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني. دار الكتاب العربي ـ بيروت.
- سنن الترمذي (الجامع الصحيح). محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي. دار إحياء التراث العربي – بيروت. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.
- سنن الدارقطني. علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني. تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني. دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.
- سنن الدارمي. عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي. دار الكتاب العربي – بيروت. ط١، ١٤٠٧هـ. تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي.

- السنن الكبرى. أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد. ط١: ١٣٤٤ هـ.
- شبهات القرآنيين حول السنة النبوية. أد/ محمود مزروعة. ضمن مجموعة كتب من موقع الإسلام، ترقيمها غير مطابق للمطبوع،http: //www.aLislam.com.
- بحث مقدم لندوة (عناية المملكة بالقرآن الكريم وعلومه) التي نظمها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف بالمدينة المنورة في الفترة ٤ ـ ٧/ ٦/ ١٤٢١هـ
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة. هبة الله بن الحسن ابن منصور اللالكائي أبو القاسم. تحقيق: د. أحمد سعد حمدان. دار طيبة ـ الرياض، ١٤٠٢هـ.
- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية. ابن أبي العز الحنفي. تحقيق: أحمد محمد شاكر. وكالة الطباعة والترجمة في الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- شرح مشكل الآثار. أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي. حققه: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة – بيروت. ط٢، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي. تحقيق: شعيب الأرناؤوط. مؤسسة الرسالة ـ بيروت. ط٢، ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته. محمد ناصر الدين الألباني. الناشر: المكتب الإسلامي ـ دمشق. ط٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.
- الطبقات الكبرى. محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر – بيروت. ط١، ١٩٦٨م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود. محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب. دار الكتب العلمية – بيروت. ط٢، ١٤١٥هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. دار المعرفة ـ بيروت، ١٣٧٩هـ.

- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير. محمد بن علي الشوكاني. دار الوفاء – المنصورة. ط٢، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- الكفاية في علم الرواية. أحمد بن علي ين ثابت أبو بكر الخطيب البغدادي. المكتبة العلمية ـ المدينة المنورة. تحقيق: أبي عبد الله السورقي، وإبراهيم حمدي المدني.
- لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري. ط١ . دار صادر – بيروت.
- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير. للشيخ عبد الحميد بن باديس. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية. دار البعث. ط١، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- مجموع الفتاوى. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني. تحقيق: أنور الباز ـ عامر الجزار. دار الوفاء. ط٣،١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- مختصر أشراط الساعة. للأستاذ الدكتور إبراهيم خليل ملّا خاطر العزامي. ط٢: مؤسسة علوم القرآن، ودار القبلة للثقافة الإسلامية.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الشهير بابن قيم الجوزية. تحقيق سيد إبراهيم. دار الحديث – القاهرة. ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- المدخل إلى الدراسات القرآنية. للعلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي (ص:٢٧) ط دار الكلمة، الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.
- المستدرك على الصحيحين. محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. دار الكتب العلمية ـ بيروت. ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.
- مسند أبي داود الطيالسي. سليمان بن داود أبو داود الطيالسي. دار المعرفة – بيروت
- مسند أبي يعلى. أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي. دار المأمون للتراث – دمشق. ط١،هـ ١٤٠٤ ـ ١٩٨٤م.

• مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين. مؤسسة الرسالة – بيروت. ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

• المصنف في الأحاديث والآثار. أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي. تحقيق: كمال يوسف الحوت. مكتبة الرشد – الرياض. ط١، ١٤٠٩هـ.

• المصنف. أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني. تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي. المكتب الإسلامي – بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ

• معالم التنزيل (تفسير البغوي) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتوزيع. ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

• معجزات الرسول ﷺ التي ظهرت في زماننا. لأستاذنا الدكتور عبد المهدي عبد القادر. ط١ : مكتبة الإيمان – العجوزة – القاهرة.

• معجم البلدان. ياقوت بن عبد الله الحموي. ط دار الكتب العلمية – بيروت.

• المعجم الكبير. سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي. مكتبة العلوم والحكم – الموصل. ط٢، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

• معجم مقاييس اللغة. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

• المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي. حققه: محيي الدين ديب مستو وآخرون. دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب – دمشق.

• من ضوابط الإعجاز العلمي في القرآن والسنة. مقال للدكتور: عبد الله بن محفوظ ابن بيه، على موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة www.nooran.org.

- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. أبو زكريا يحيى بن شرف النووي. دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط٢، ١٣٩٢هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب المسلم. الرياض ـ السعودية.
- الموطأ. مالك بن أنس الأصبحي. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. الناشر: مؤسسة زايد ابن سلطان آل نهيان. ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.
- موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة بمكة المكرمة:

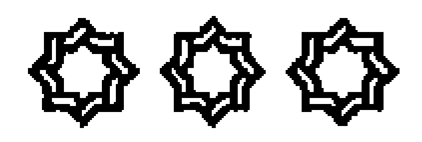
http: //www.nooran.org.

- النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن. الدكتور محمد عبد الله دراز. اعتنى به وخرج أحاديثه: عبد الحميد الدخاخني. دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية. ط١، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر. أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ـ محمود محمد الطناحي. دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- الوسيط في تفسير القرآن الكريم. للأستاذ الدكتور سيد طنطاوي. مطبعة السعادة. ط٣، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

❁❁❁


الفهرس

الفهرس





وقد ظهرت هذه الأخبار الغيبية التي أخبر بها الله تبارك وتعالى في كتابه المجيد أو على لسان رسوله ﷺ في مُدد متفاوتة:

فمنها التي ظهرت خلال حياة رسول الله ﷺ.

ومنها ما ظهر في حياة الصحابة بعد وفاة رسول الله ﷺ.

ومنها ما ظهر في زمن التابعين.

ومنها ما ظهر في القرون المتأخرة حتى وقتنا الحالي.

ومازالت هذه الأحداث تتوالى تماما كما أخبر بها رسول الله ﷺ، بدقة شديدة، وإحكام يثير الدهشة، كأنه رآها رأي العين ﷺ، وليس بعد ذلك دليل على أن هذا العلم هو الوحي، الوحي الذي نزل به جبريل عليه السلام على قلب رسول الله ﷺ.

الدكتور

شهاب ...



٢٧ شارع ٣١٤ تقسيم القضاة سموحة الأسكندر...
جمهورية مصر العربية
ت: ٠٥١٢٩-٤٢٠-٠٣/ ٨٥٢ ٣٤٥٦ ٠١٠ فاكس: ٠٥١٢٩ ...
www.dar-alhoda.com